https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/821
ISSN 2477-9857E-ISSN 2800- 0919"Assiaq" scientific journal مجلة "السياق"
المجلد:08 العدد: 02 (2024) ص.51./71.

الماء في المأثورات الشّفوية بمنطقة السّباسب العليا التّونسية

Water in the Oral AphorismoftheTunisian High Steppes

حمد غضباني*
وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية (تونس)
hamadpabs@yahoo.fr

معلومات المقال
تاريخ الإرسال: 2024/03/02
تاريخ القبول: 2024/01/07
الكلمات المفتاحية:
✓ الماء
✓ المأثورات الشفوية
✓ السّباسب العليا التونسية

الملخص:(لا يتجاوز 10 اسطر)
يعتبر الماء من أثمن الموجودات على سطح الأرض، بل لعلّه أثمنها، لأنّه المحدّد الأوّل في بقاء الإنسان، وغيره من الكائنات الحيّة، على قيد الحياة. وهذا ما جعله يحتلّ مكان الصّدارة في التّراث الثّقافي لدى جميع المجموعات البشرية على مرّ العصور. وأمام تزايد العوائق التي تعترض الحصول عليه في الكثير من مناطق العالم، بات الماء مدار أزمات ومحور صراعات بين الدول وحتى داخل حدود الدّول ذاتها. وأمام الإشكالات النّاجمة عن ندرة الماء في تونس، ونظرا لأهمية المخزون التّراثي المرتبط بالماء في جهة السّباسب العليا ارتأينا أن نتناول جانب منه، ألا وهو المأثورات الشفوية، ممثّلة في الأمثال والأقوال السّائرة والحكم.
وقد حاولنا في هذا المقال التّطرّق إلى مسألة وجاهة الاهتمام به (أي التراث الشفوي)، وسعينا إلى توضيح الحدود الفاصلة بين أنواعه المذكورة، وإبراز سلطتها الرّمزية. كما قمنا بتقديم مدوّنة الأمثال والأقوال السّائرة والحكم المتّصلة بالماء، مقسّمة حسبما تحمله من مضامين.

Article info
Received ……..
Accepted ……..
Keywords:
✓ *water*
✓ *oral aphorism*
✓ *High Tunisian Steppes*

Abstract : (not more than 10 Lines)
Water is one of the most precious assets on earth. Therefore, it occupies the forefront of the cultural heritage of all human groups throughout history. Given the problems resulting from water scarcity in Tunisia, and considering the importance of water-related heritage in the high steppes, we have decided to address one of its aspects, whichis oral aphorisms including proverbs, sayings, and wisdoms. In this article, we have tried to address the issue of the relevance of interest in this oral heritage, and we have sought to clarify the boundaries separating its mentioned types, and to highlight its symbolic power. We have also presenteda blog of proverbs, sayings, and wisdoms related to water, divided according to its signification.

*حمد غضباني hamadpabs@yahoo.fr

1. مقدمة:

لعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ الماء يُعدّ المادّة الطّبيعية الأولى التي تحكّمت في مصير الإنسان منذ أن وُجد على سطح الأرض، نظرا لاتّصاله المباشر ببقائه على قيد الحياة من عدمه. فاعتمد عليه في حلّه وترحاله، في كلّ مكان، ومهما تعدّدت أنماط عيشه وبيئته الجغرافية. فالماء، إذن، قد يكون "المورد الطبيعي الوحيد الذي يمسّ جميع جوانب الحضارة البشرية". ولذلك احتّل محورا أساسيا في ثقافة جميع الأقوام والشّعوب، سواء ما اتّصل منها بالدّنيوي، أو ما اتّصل بالمقدّس. وقد حاولنا في هذه الورقة الوقوف عند تجلّيات بعض الأبعاد الثّقافية المتّصلة بالماء، انطلاقا من المأثورات الشّفوية، المتمثّلة في مدوّنة الأمثال العامية والأقوال السّائرة والحكم، فيمنطقة السّباسب العليا التّونسية – تشمل ولاية القصرين، حسب التّقسيم الإداري بالبلاد التونسية–. وذلك لأهميتها باعتبارها مرآة عاكسة لحقيقة المجتمع، فكما يقول عبد الوهاب بوحديبة"إذا أردنا أن نتوصّل إلى معرفة خصوصيات مجموعة ما فإنّ حظّنا في الوصول إلى ذلك عن طريق ما نُقل شفويا أوفر من حظّنا في الوصول إليه عن طريق ما نُقل كتابيا فقط"(Bouhdiba، 1977، صفحة 22) كما أشار (مداني، 1982، صفحة 4).

ويعود خيارنا بالاشتغال على هذا الرّصيد الثّقافي، لعدّة أسباب، من أهمّها أنّ الأبعاد الثّقافية المرتبطة بالماء من السّعة والشّمول ما يعسّر حصرها، فهي مبثوثة في شتّى ضروب القول والمعتقدات والطّقوس والممارسات والأنشطة اليومية وغيرها. وكذلك لما للأمثال والأقوال السّائرة والحكم من ملائمة لأذواق وعقول حامليها، ولاكتنازهابالمعاني والدلالات، والتصاقها بواقع المجتمع، بحيث يمكن من خلالها مقاربة مكانة الماء في ذهنية سكّان الجهة موضوع البحث. وقد سعينا في هذا العمل إلى تحديد الإطار الجغرافي لمنطقة البحث وأهمّ خصوصيات المجتمع، ثمّ تناولنا مسألة الوجاهة في الاهتمام بهذا الموروث الشّفوي، وحاولنا رسم التّخوم الفاصلة بين أصنافه (الأمثال والأقوال السّائرة والحكم)، وما يختزنه من سلطة رمزية. وبعد ذلك تناولنا مدوّنة المأثورات التي جمعناها من أفواه حامليها –سواء من خلال متابعة خطابهم اليومي، أو بالاعتماد على سبر ذاكرة[1] المسنّين–متوخّين في ذلك المنهج الوصفي.

2. الإطار الجغرافي لمنطقة البحث وأهمّ خصوصيات مجتمعها

تتميّز منطقة السّباسب العليا التونسية بمناخ شبه جاف، قارّي وسباسبي في آن واحد. ويصل معدّل نزول الأمطار سنويّا حوالي 300مم، والمعدّل الحراري السّنوي إلى 15.6°(Attia, 1977, p. 7). وهي تتميّز بشتاء قارس، يشهد نزول الثّلج في بعض الأحيان – خاصة على قمم سلاسل الجبال التي تتخلّلها–، وصيف حار تهبّ خلاله رياح "الشّهيلي" السّاخنة. أمّا الأمطار فهي ذات طابع متذبذب من فصل لآخر ومن سنة لأخرى، رغم معدّلها السّنوي المرضي نسبيا. ولكنها تشهد من حين لآخر أمطارًا استثنائية[2]، ممّا جعل الإنسان في مواجهة نقيضين، هما ندرة الأمطار وعنف السّيول الاستثنائية. وهو ما ينعكس سلبا على الزّراعة، "لذلك تمثل زراعة الحبوب مخاطرة بأتمّ معنى الكلمة"(التيمومي، 1993، صفحة 13). حيث تكون صابة الحبوب متوسّطة أو جيّدة بعد أربعة أو خمسة سنوات، أمّا بقية السّنوات فتكون موسومة بالجفاف، بما يعنيه ذلك من تدهور في أسباب العيش كقلّة، أو انعدام، الحصول على الحبوب وموت قطعان الماشية، ممّا يؤدّي إلى نقص في الغذاء يصل في بعض الحالات إلى مستوى المجاعة[3]. فالأرض [هنا] جفاف وقسوة، والحياة معلّقة بضرع وزرع، وماء وكلأ"(الفاخوري، 1980، صفحة 17). واستنادا إلى هذه العوامل المناخية يمكن وصف مجتمع هذه

---

[1]. يصف عبد الرّحمان أيوب "سبر الذّاكرة" بأنّه "منهج يقوم على المحاورة والسّؤال وتقصّي خفايا الذّاكرة الجماعية، بصفة عامة، وذاكرة الكنز الإنساني الحيّ". انظر: (أيوب، 2007، صفحة 16).

[2]. عرفت منطقة القصرين أمطارا طوفانية سنوات 1969-70 و1989-90 و1995-96، وصل معدّلها سنة 1969-70 إلى 756 مم، في حين كانت سنوات 1968-69 و1987-88 و1994-95 استثنائية في الجفاف، حيث كان معدّل الأمطار سنة 1968-69 في حدود 194,9 مم، انظر: (Mehdouani, 2022, p. 8)

[3]. شهدت المنطقة في الفترة الحديثة أحداث عنيفة ومجاعات قاسية كان السبب الأساسي فيها امتداد سنوات الجفاف. انظر حول ذلك: (Attia، 1977، الصفحات 360-363).

المنطقة بمجتمع النّدرة، ندرة الماء والغذاء على حدّ سواء. وهذا ما جعل أغلب سكّانها، إلى حدّ السنوات الأولى من الاستقلال، يصنّفون كشبه مستقرّين، نظرا لاعتمادهم في عيشهم على التّرحال تارة إلى "بلاد فْريقيا" (الشمال الغربي التونسي) لجلب الحبوب ورعي مواشيهم، وتارةأخرى إلى "بلاد الجريد" لجلب مؤونتهم من التّمر، ثم العودة إلى موطنهم من جديد[4]. وكانوايعتمدون في تحصيل الماء على العيون والآبار ومياه الأودية، سواء الدائمة السيلان كوادي الحطب ووادي الدّرب، أو تلك التي تنشط عند نزول الأمطار بسبب المنحدرات. ولذلك تحتوي المأثورات الشّفوية لديهم –من أمثال وأقوال سائرة وحكم–على مصطلحات لسانية مرتبطة ارتباطا وثيقا ببيئتهم الجغرافية وبنمط عيشهم الذي كان يقوم على الرّعي[5]. ولا عجب في ذلك، فللبيئة دورها المركزي في تشكيل السّلوك والثّقافة لدى الإنسان[6]. ولعلّ أوّل من أعلن هذه العلاقة الفيلسوف أرسطو "الذي قرّر أنّ المناخ وطبيعة الأرض التي يعيش فيها الإنسان من أهم العوامل التي شكّلت ثقافته"(وصفي، 1971، صفحة 101).

3. وجاهة العناية بالتّراث الثّقافي الشّفوي المرتبط بالماء

تشير عديد البحوث إلى أنّ حروب القرن الحالي سوف تنشأ بسبب الحروب على الماء(Simon, 2021, p. 1)، وهذا ما بدأت تؤكّده أحداث الصّراع في الكثير من المناطق حول العالم. "ففي السّنوات الأخيرة برزت سلسلة من الأوضاع الملحّة وأحيانا الكارثية في مجال الوصول إلى الماء"(كوت، 2019، صفحة 8). وتعاني تونس، مثل غيرها من الأقطار العربية، من شحّ في الموارد المائية[7]، فاقمته التّقلّبات المناخية وتواتر سنوات الجفاف. وهذا ما انعكس على السّلم الاجتماعي في عدّة مناطق منها، خاصة في جهات الوسط الغربي والشّمال الغربي. وقد أشارت عديد الدّراسات والتّقارير إلى مواطن الخلل في سياسة الدولة التونسية المتعلّقة بالماء، نذكر من بينها تقرير المقرّر الأممي الخاص المعني بالحق في مياه الشّرب وخدمات الصّرف الصّحّي المؤرّخ في 28 جويلية 2022 (Human Rights, 2022)، والمقال المنشور من طرف المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية حول "أزمة المياه بجهة القيروان والاتّجاهات المستقبلية"(الفقيه و البكري، 2021).وهو ما ينذر بإشكالات شديدة التّعقيد وذات آثار خطيرة على الدّولة والمجتمع. وممّا لا شكّ فيه أنّ المدخل الأساس لمعالجة أزمة شحّ المياه هو ترشيد استهلاكها والتّصرّف المستدام فيها.

وبالنظر إلى مركزية البُنى الذّهنية والثّقافية في توجيه الممارسات الاجتماعية والسّلوكيات الفردية، فإنّ مقاربة موضوع التّصرّف في الماء على نحو مستدام يفرض صون وتثمين التّراث الثّقافي المتّصل به. نظرا لأنّ هذا التّراث يمكن أن يساعد في إيجاد حلول أكثر استدامة من تلك التي وقع تبنّيها باسم الحداثة(Simon، 2021، صفحة 1). وانطلاقا من ذلك تبرز مكانة التّراث الشّفوي المرتبط بالماء، نظرا لقيمته الأصيلة في إعادة الاعتبار لهذه المادّة الثّمينة والحيوية، وذلك لاتّصاله الوثيق بحياة النّاس وماضيهم، وكذلك حاجتهم إليه في حاضرهم ومستقبلهم، باعتباره أحد التّعبيرات الحميمية عن ذاتيتهم الثّقافية. هذا فضلا عن حمولته المكثّفة بالرّموز والدّلالات، سيّما وأنّ "المجتمع يرتكز إلى التّعبيرات الرّمزية والرّامزة، أكثر ممّا

---

4. سلكت الدولة التونسية منذ الرّبع الأخير من القرن 19 سياسة توطين السكان شبه الرّحّل للحدّ من الغارات وإجبارهم على الاستقرار حتى تسهل مراقبتهم، ثم تعزّزت هذه السياسة مع الاستعمار الفرنسي، إلى أن أفلت ظاهرة التّرحال نهائيا خلال ستينيات القرن الماضي. انظر حول ذلك:(الهادي، 2022، الصفحات 230-232).

5. يقول الحبيب عطية في هذا الصّدد أنّ "المشهد السباسبي والحياة الرعوية كان مهيمنين [في هذه المنطقة] إلى حين استقلال البلد"، على عكس بقية مناطق البلاد التونسية التي أحدثت فيها السلطات الاستعمارية تغيّرات عارمة، في المجتمع والمجال، بغاية إدماجها في الاقتصاد الاستعماري. انظر: (Attia، 1977، الصفحات 354-355).

6. "اختلفت الدراسات التي تناولت هذه المسألة في مدى تأثير العوامل الجغرافية على ثقافة الإنسان، ولكن جميعها تشدّد على أهمية هذه العوامل بقطع النظر عن حتميتها أو لا، ولكونها فريدة أو تتداخل مع عناصر أخرى (تاريخية وسياسية واقتصادية...). ولكن عموما يمكن القول أنّ من أهمّ محدّدات الثّقافة عنصريْ الجغرافيا والتاريخ". انظر:(غضباني، 2008-2009، صفحة 26).

7. حول هذا الموضوع انظر :(يونسي، 2017، الصفحات 164-180)". وقد بيّنت صاحبة هذا المقال أنّ الماء يحتل موقع متقدّم في السياسات الدولية القائمة على الهيمنة والاستغلال في النظام العالمي الجديد، سيما بعد تزايد أزمة المياه العالمية وظهور أزمات الجفاف والمجاعات عبر العالم. وهو يعتبر سلعة خاضعة لقيم وآليات السوّق بنظر المؤسّسات المالية العالمية مثل البنك الدولي.

يستند إلى أخرى مادية، وبالضبط في سجلاّت اليومي"(العطري، 2018، صفحة 79). إذا عن طريق هذا التّراث "يؤسّس المجتمع لبناءه الرّمزي ويحافظ على استمراريته"(العطري، 2018، صفحة 87). وتمثّل المأثورات الشفوية، سواء اعتبرناها خطابا بذاته أو سجلّ يمتح منه خطاب الحياة اليومية، سلطة رمزية لا مرئية، ذات تأثير فاعل في ديناميات الواقع. فـ"السّلطة الرمزية هي سلطة بناء الواقع" – بعبارة بيار بورديو(بورديو، 2007، صفحة 49)-.

ويبدو لنا أن ترميم علاقة مجتمعنا بالماء – وغيره من عناصر النّظام البيئي-بحاجة إلى مزيد الاشتغال على الموروث الشّفوي وتثمينه، لإصلاح ما أفسدته بعض التّحوّلات التي أنتجتها ميكانيزمات التّحديث القسري التي عرفها المجتمع، سواء إبّان الفترة الاستعمارية أو مع "الدولة الوطنية"، والتي تسبّبت في خلخلة بناه الاجتماعية والثّقافية. فبعد أنّ كان الماء ماء السماء (أو "مَاء رَبِّي"، حسب المنطوق العامّي) أصبح ماء الدّولة، "وهو ما أثّر على محدودية التّدخّل الجمعي لحماية المشترك وتحصين المكتسب، [لأنّ] الفاعل لا يستشعر تملّكه الرّمزي للمجال. ولهذا لا يبدي كثير اهتمام وانشغال بضرورة الحفاظ على هذه الإمكانيات الطبيعية"(العطري، 2018، صفحة 84). ولا شكّ أنّ المأثورات الشّفوية، وخاصة الأمثال والأقوال السّائرة والحكم العامية، تمثّل مخزون هائل لإنتاج المعاني والرّموز، ممّا يمنحها "سلطة رمزية" بالإمكان توظيفها في إعادة مصالحة المجتمع مع البيئة عموما والماء خصوصا.

4. أوجه الالتقاء والتّباين بين المثل والقول السّائر والحكمة

لا نظنّأنّ محمد المرزوقي قد جانب الصّواب حين اعتبر أنّه "رغم دوران كثير من التّعابير على ألسنة الشّعب في الأحاديث العّامة والخاصّة، فإنّ قلّة من المثقفين من يفرّقون بين الأمثال الشّعبية والتّعابير الشعبية"(بلحاج عيسى، 1988، صفحة 4). والدّليل على ذلك هو الخلط الحاصل لدى الكثير ممّن كتبوا في موضوع الأمثال والأقوال السّائرة والحكم العامّية التّونسية بين هذه الأصناف القولية، فأوردوها مختلطة ودون أيّ إشارة إلى ما بينها من فروقات[8]. وربّما صرفهم عن ذلك شدّة التّقارب فيما بينها، فساقوها مجملة على أنّها أمثال. وقد اعتبر عبد الحميد بن هدوقة في مقدّمة مصنّفه للأمثال الجزائرية "أنّه بالرغم من التّرابط والتّلاحم الواضح بين المثل والحكمة والقول السّائر، إلاّ أنّ هناك بعض الفرق. فالحكمة تتضمّن موعظة أو نصيحة أو عبرة (...) والقول السّائر يقرّر شيئا واقعا (...)، بينما المثل قد يتضمّن ذلك وقد لا يتضمّن"(بن هدوقة، 1993، الصفحات 12-13) كما أشار(بورايو، 2011، صفحة 68). ولكي لا نثقل بحثنا هذا بتفصيلات جزئية وفرعية في مستوى تبويب محاوره ارتأينا أن نقدّم لمحة تعرّف بكلّ من المثل والقول السّائر والحكمة، قبل الولوج إلى مدوّنة المأثورات القولية المتعلّقة بالماء، والتي تجمع في ثناياها هذه الأصناف مختلطة.

1.4 المثل:

عرّف المبرّدُ المثل بأنّه "مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يُشبَّه به حال الثاني بالأوّل والأمثل فيه التّشبيه"(الرّازي، 1987، صفحة 8). وقال عنه ابن السكيت "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبّهوه بالمثال الذي يُعمَل عليه غيره"(الفاخوري، 1980، صفحة 8). وهو يرد في صيغة النّثر أو الشّعر. وتُعدّ الأمثال من أهمّ ضروب الفنون القولية تداولا بين الناس، والأمضى في اختراق الأزمان والثّقافات. وقد كان جمع الأمثال وتناول خصوصياتها محطّ اهتمام الدارسين القدامى والمحدثين، فوضعوا فيها مصنّفات كثيرة، وتباينت آراؤهم – وإن كانت في واقع الأمر تكمّل بعضها بعضا- في مميّزات المثل عن باقي المأثورات الشّفوية. فعلى سبيل المثال، اعتبر عبد الله بن المقفّع، في كتابه "الأدب الصغير والأدب الكبير"، أنّ للمثل خصوصيات ثلاث، هي: "وضوح المعنى وجمال الأداء وعموم الدّلالة"(بورايو، 2011، صفحة 57)، وأضاف ابن عبد ربّه، في "العقد الفريد"، خاصية أخرى، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وهي "الشّيوع

[8]. نذر منهم على سبيل الذكر لا الحصر:
(بلحاج عيسى، 1988) و(خريف، 2003)و(الرّزقي، 2016)و(بن رمضان، 2017)و(العبادي، 2018).

والتّداول"(بورايو، 2011، صفحة 57). "ويلفت المرزوقي [في كتابه "شرح الفصيح"] انتباهنا إلى خاصية قصر عبارة المثل وثبات الدّال (اللفظ) فيه وتعدّدية الدّلالة (المعنى)، وقابلية هذا الأخير للتأويلات المختلفة وفق المواقف التي يُضرب فيها المثل"(بورايو، 2011، الصفحات 57-58). وصوّب أبو الحسن الماوردي اهتمامه، في مصنفه "الأمثال والحكم"، إلى بعد آخر من أبعاد المثل، وهو أثره النفسي والذّهني في المتلقّي(بورايو، 2011، الصفحات 58-59). أمّا الفرابي فأضاف خاصية أخرى للمثل، وهي الإجماع، فهو "ما ترضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم"(الفرابي، 1974، صفحة 74). وفي العصر الحديث تبارى الدّارسون، من تخصّصات علمية مختلفة ومن مشارب فكرية متباينة لفهم الخصوصيات التي تُكسب قولا ما موقع المثل، إذ رغم أهمية الخصوصيات الذاتية التي يحملها المثل (في مبناه ومعناه) لكنّها لا يمكنها وحدها أن تسبغ عليه صفة المثل السّائر، بكل ما فيه من قوّة رمزية تمنحه حضورا فاعلا في حياة المجتمعات، بل هنالك جوانب أخرى. وقد يكون من بينها قبوله واستعماله من قِبل غير واضعه، كما وصفه أبو بكر الخوارزمي، في كتابه "الأمثال"، بقوله "ليس كلّ نعت صائب، ولا كلّ كلام فصل مثلا، إنّما المثل ما استعمل غير واضعه وهو يقبله، ووضعه في أثناء كلامهم الخاصّة والعامّة، فقد قال قوم في الجاهلية وصدر الإسلام أقوالا لو استعملت لكانت أمثالا"(الخوارزمي، 1994، الصفحات 5-6) كما أشار (بورايو، 2011، الصفحات 59-60). ودون مزيد من إطالة في غمار هذه الإشكالات التي خاض فيها غيرنا، والتي تتعدّى الغرض من هذا المقال، فإنّه لا مندوحة من الإشارة إلى السّلطة الرّمزية التي يحوزها المثل، والتي تمثّل إحدى مبرّرات استعماله،بهدفإضفاء قوّة على الخطاب الذي يتضّمنُه.

2.4 القول السّائر:

يحتوي المنطوق اليومي لعموم التونسيين، ومن بينهم سكان الجهة موضوع بحثنا، على جمل تضمّ مأثورات شفوية، تكون في شكل أمثال أو حكم أو أقوال سائرة. ولئن كانت ترد دون تمييز فيما بينها، إلاّ أنّ سياق الخطاب هو ما يفرض اعتماد كل منها. وبالنسبة للأقوال السّائرة، أو ما يسمّيه محمد المرزوقي بـ"التّعابير الشّعبية"، فهي بحسب عبارته "جملا محفوظة سارت على الألسن، وجرت مجرى الأمثال، ولو لم تملك مضمونها الذي هو عصارة تجربة شعبية"(بلحاج عيسى، 1988، صفحة 4). وباعتبار أنّ "الأصل في المثل التّشبيه"(خريف، 2003، صفحة 7)، وما في حكمه من وجوه بلاغية، فإنّ ما يشترك معه من عبارات، في الإيجاز والشّيوع وصوغ العبارة، ويختلف عنه من حيث استعمالها بمعناها الحرفي، ولا يقوم على التّشبيه وعلى ما يقع في حكمه من وجهة نظر بلاغية، يعتبر أقوالا سائرة(بورايو، 2011، الصفحات 67-68).

3.4 الحكمة:

لئن كان المثل يتلوّن في غالب الأحيان، ولربّما في كلّها، بحسب ما يفرضه سياق استعماله من معاني ودلالات – مقام ضربه-، فإنّ للحكمة معنى واحد، مجرّد وعام، ويرد في شكل تقريري واضح، بحيث لا يحتاج إلى تأويل لفهم معناه. وفي هذا الصّدد، يقول حنّا الفاخوري "أنّ الحكمة والمثل من جوامع الكلم، وأنّ الحكمة تفيد معنى واحدًا من نهي أو أمر أو إرشاد، وأنّ المثل يفيد معنيين: معنى ظاهرًا ومعنى باطنًا، أمّا الظاهر فهو حدث من أحداث التاريخ أو ما إلى ذلك، وأمّا الباطن فمرجعه إلى الحكمة والإرشاد. وهكذا يلتقي المثل والحكمة في المؤدّى"(الفاخوري، 1980، صفحة 9). ولئنّ كنّا لا نوافق عبد الحميد بورايو الرّأي في اعتباره أنّ إنتاج الحكمة وشيوعها يكون بين الخاصّة من النّاس(بورايو، 2011، صفحة 68)، لأنّ الحكم العامّية هي في نهاية المطاف خلاصة خبرة تاريخية لمجموعة معيّنة من البشر، وصوغها في عبارة معيّنة – وكذلك شيوعها- لا يحتاج، بالضرورة، إلى عبقرية استثنائية تتوفّر لدى "الخاصّة" فقط. إلاّ أنّه، في مقابل ذلك، لا نظنّه إلاّ مصيبا في قوله بأنّ الحكمة تقوم على التّجريد، وذات قابلية للتّعميم، وترمي إلى التعليم، وتستدعي التأمّل(بورايو، 2011، صفحة

68). وبشكل عام، يمكن القول مع حنّا الفاخوري بأنّ "الحكمة هي الكلام القائم على العلم والموجّه إلى الصّواب والسّداد في القول والعمل"(الفاخوري، 1980، صفحة 8). ولكنّه العلم الذي راكمته الأجيال عبر تجاربها الحياتية العفوية لا علم المفكرين أو العلماء.

5. سلطة المأثور الشفوي ممثّلا في المثل والقول السائر والحكمة

يجري المثل والحكمة والقول السّائر على ألسنة النّاس لأنّهم "يدعمون بها الأقوال ويدعمون بها الأعمال"، بعبارة حنّا الفاخوري(الفاخوري، 1980، صفحة 10)، وذلك لما تختزنه من حجّة وقوّة يوظّفهما قائل المأثور لخدمة استراتيجيته في الهيمنة بواسطة الخطاب. وإذا ما حذونا صوب محاولة بيار بورديو في فكّ شفرة مصادر السّلطة الرمزية للخطاب، والتي ردّها إلى الشروط الاجتماعية لاستخدامه، ومعتبرا قوّة وسلطة الكلمات لا تكمن داخلها فقط، بل هي مبثوثة خارجها أيضا، أي في "الإيمان بمشروعية الكلمات ومن ينطق بها"(بورديو، 2007، صفحة 60)، فإنّ القول المأثور يكتسب فعاليته بفضل مشروعيته في ذهن قائله، ومن يتوجّه إليه، في آن واحد. ولعلّ البحث عن إبراز سلطته – أي القول المأثور– هو ما يجعل مستعمليه، في الوسط الاجتماعي محور بحثنا – أي سكّان جهة القصرين–، كثيرا ما يُسبقونه بعبارة "كِمَا قالُوا النَّاسْ اللِّوَالَى" (كما قال الناس الأولون) أو "النّاس اللِّوَالَى مَا كِذْبُوشْ/ مَا عَالُوشْ كِ قالُوا" (الأولون لم يكذبوا/لم يعيلوا عن الصّواب لما قالوا). وهنا تبدو قوّة القول المأثور مستمدّة من قوّة الثّقة في النّاس الأوّلين، على اعتبار أنّهم مصدر للقول الفصل، فتجري حكمتهم الأبدية على الأجيال التي تعقبهم. ولو أخذنا المثل كمثال نتناوله، وعلى اعتبار أنّ "المثل مأخوذ من المثال والحذو"(الجزائري، 2014، صفحة 9) و"بالمثال يتّضح المقال" – كما قالت العرب قديما –، فهذا القول لا يكشف إلاّ عن جانب واحد من قوّة المثل، وهو قدرته على تفسير المبهم وتوضيح المستغلق في المقال، أمّا الجانب الآخر المضمَر فهو القوّة الرمزية التي يستمدّها المقال من المثال، والسّلطة التي يخضع لها المتلقّي وتُعلي من شأن الباثّ في آن واحد. وتتحقّق هذه المعادلة بناء على رسوخ الاعتراف بوجاهة المثل، وصحّة الدّلالات التي يحيل عليها، لدى جميع أفراد المجتمع. وهذا ينسحب أيضا، على الحكمة، وكذلك على القول السّائر بدرجة أقلّ، نظرا لتواضع شحنته الرمزية مقارنة بالصنفين المذكورين آنفا. إذن سلطة المتكلّم نابعة من انغراس قوله في قيم المجتمع ومواضعاته التي توارثها عبر الأجيال، حتى لكأنّه لسان حال المجتمع لا لسان حاله، ومطيّته في ذلك القول المأثور. وأمّا المتلقّي فما عليه إلاّ التّسليم للمحافظة على انسجامه النّفسي والاجتماعي. وبذلك يكون القول مادّة للإقناع والخضوع في ذات الوقت.

وإذا كان هذا الأمر يصحّ في السّابق من العهود، فإنّ تصدّعات مهمّة حدثت في البُنى الثّقافية والاجتماعية جعلت حضور التّراث الشفوي، ومنه المأثورات المتمثّلة في الأمثال والأقوال السّائرة والحكَم، يتراجع في الخطاب اليومي ويتلاشي رصيد هامّ منه، وبعضه مقترن بقاءه بحياة حملته من كبار السّنّ. إذن الإشكال اليوم هو في تراجع استعمال المأثورات الشّفوية لفائدة مفردات جديدة مشتقّة من مستحدثات الحياة المعاصرة وتبدّل نمط العيش – وما رافقه من تراجع أثر البُنى الاجتماعية التّقليدية وأبعادها الثّقافية–. فما نشاهده اليوم من تحوّلات وتغيّرات في مستوى البُنى الاجتماعية والثّقافية أثّرت بدورها على مستوى اللّغة اليومية ممّا قلّص من مساحة المأثور الشّفوي فيها، بل إنّ بعض المأثورات لم نتمكّن من الوصول إليها إلاّ عبر "سبر ذاكرة" بعض المسنّين من أهل المنطقة. وهذا ما جعل فئات واسعة من المجتمع شبه منفصلة عن التّراث الشّفوي، وما يحمله من أفكار ومعارف وقيم، إمّا بصفة عفوية فرضتها طبيعة حياتها الاجتماعية، أو فرارا واعيا من هيمنة الموروث وسلطته. فالخطاب، في نهاية المطاف، ليس بناء لغويا مجرّدا، ولكنه بناء لغوي حامل لأفكار ومُدركات، ومشدود ومسيّج بالبُنى الثّقافية والاجتماعية. وكما هو معلوم، فإنّ كلّ أثر يمسّ الثقافي والاجتماعي تكون له تداعياته على مستوى الخطاب، في بنيته

ومضامينه ودلالات مفرداته. وهكذا يكون خضوع استعمال المصطلح اللّساني إلى الحيثيات المحيطة بالبناء الاجتماعي وأبعاده الثّقافية، وما تضبطه من سياقات معيّنة تفرض تداول، وإنشاء، معجم لفظي معيّن، فتتواصل مصطلحات وتولد، أو تختفي، أخرى. ففي نهاية المطاف "لا يوجد لسان معزول عن مجتمعه ولا ثمّة مصطلح منبتّ عن سياقه التّاريخي"(الميساوي، 2009، صفحة 280).

وما دام الأمر كذلك فإنّه لا بدّ من إيجاد الحلول الكفيلة بصون التّراث الشّفوي عموما، والمتعلّق منه بالماء خصوصا، نظرا لما يحمله من قيم تحثّ على المحافظة على هذه المادّة وتثمينها، سيّما وأنّ الأوضاع المناخية، العالمية والمحلية، تفرض ذلك. ورغم وجاهة التّساؤل عن شروط إعادة إنتاج وتداول المأثور الشّفوي (ممثلا في الأمثال والأقوال والحكم)، أو ما يسميه بيار بورديو "الشّروط الاجتماعية"، بعد التّحوّلات العميقة التي عرفها المجتمع، ومدى تناغم وجود ذلك المأثور مع الظروف التي فرضتها الحداثة. إلاّ أنّه بالإمكان القول، بثقة عالية، أنّ ما يختزنه – أي المأثور– من قوّة تتيح له التّغلّب على تلك التّحدّيات. وذلك لعدّة أسباب، منها قدرته على التّكيّف مع مختلف الظروف والمواقف، واختراقه لمختلف ضروب القول الشّفوي، بما يسمح باستدعائه/استحضاره، وكذلك قابليته للتّوظيف في المنتجات الإبداعية والفنّية. أمّا بالنّسبة لما يبدو من تضارب بين ذلك المأثور، باعتباره معبّر عن المجتمع التّقليدي، وإمكانية تزامنه مع واقع المجتمع الحديث، فإنّ شواهد كثيرة استعرضها ياوكواديو في مقاله بشأن الأمثال والحداثة وإمكانية تصالحهما، تبيّن أنّ ذلك ممكن. حيث يبيّن أنّ "الآداب المثَلِية" (La littérature proverbiale) لديها طبيعة حداثية على المستويين الاجتماعي والاستيطيقي (Kouadio, 2016, p. 246)، ويؤكّد في مقاله هذا أنّ المثل – بما هو جنس أدبي وفنّ شفوي– والحداثة حقيقتين متصالحتين، وهذا ما يضمن بقاء واستمرارية الآداب المثَلية. وبناء على ذلك يقرّر أنّه "من الخطأ التّفكير بأنّ المثل من مخلّفات الماضي وهو بمنأى عن الأفكار الحالية" و"من غير الواقعي اعتبار الأمثال والحداثة متضادّين بشكل مطلق"(Kouadio، 2016، صفحة 251).

6. مدوّنة الأمثال والأقوال السّائرة والحكم في السّباسب العليا التّونسية

قبل عرض قائمة المأثورات الشّفوية لا بدّ من التّنويه إلى أنّنا توخّينا رسم حروفها حسبما نقلناه من أفواه حَمَلتها، مراعين في ذلك طبيعة اللّهجة المحلّية، لأنّ ذلك بحدّ ذاته يمثل مكنز لغوي جدير بالتّوثيق والدّراسة اللّغوية واللّسانية. كما اجتنبنا تبويب الأمثال التي تتناول موضوع الماء – أو تلك تضمّ مفردات ذات مدلول يحيل على الماء– وفق الحقول الدّلالية التي تنتمي إليها، نظرا لانتماء المثل الواحد، في العديد من الأحيان، إلى أكثر من حقل دلالي، إذ "أنّ مقام ضرب المثل هو الذي يحدّد عادة وجهة تأويله وتعيين دلالته"(بورايو، 2011، صفحة 76). وقد اخترنا تقسيم محتوى مدوّنتنا إلى خمسة عناصر هي:

–المأثورات الحاملة لمعجم لفظي يحيل على الحقل الدّلالي للماء دون أن يرتبط موضوعها به (أي الماء) مباشرة.

– المأثورات التي يتّصل موضوعها بمكانة الماء في مجال تربية الماشية.

– المأثورات المرتبطة بدور الماء في مجال الزّراعة.

–المأثورات المرتبطة بمشكل ندرة الماء.

– المأثورات التي تتناول أهمية الماء.

– المأثورات المتعلّقة بالمعارف والمعتقدات الخاصةبنزول المطر.

1.6 المأثورات الحاملة لمعجم لفظي يحيل على الحقل الدّلالي للماء:

جمعنا في هذا العنصر الأمثال والأقوال السّائرة والحكم التي تحمل ألفاظ ذات معاني تحيل على الماء، وعددها 85 مأثور، تتناول مواضيع مختلفة تظهر جانب من قيم المجتمع ونمط عيشه. ولا شكّ أن هذا العدد المهم يدلّ على المساحة التي يحتلّها الماء في ذهن الإنسان السّاكن في منطقة السّباسب العليا التّونسية. ويشمل المعجم الذي يحيل على الماء في هذه المأثورات مصطلحات لسانية عديدة على غرار:

- مفردات تحيل على معنى المطر، والتّساقطات بصفة عامة: نّو (المطر)، قَطْرَة، عَارضْ، نَدْوَة (النّدى)، جْلِيدَة (الجليد)، وبَرْق، رَعْدْ، سْحَابْ، قِرَّة.
- مفردات تحيل على معنى الماء: مَا، امّيهَة.
- مفردات تحيل على معاني نزول أو إمساك المطر: تْصُبْ، تَسْحَى، هْطُولْ.
- مفردات تخصّ أماكن تجمّع المياه: غْدِيرْ، قِلْتَة،نْقِيعْ، بِيرْ، جَابْيَة، سَاقْيَة.
- مفردات مرتبطة بمياه السّيلان: وَادْ، فِيضْ، مَجْرَى، وْدِي، مِيزَابْ، حْمِلْ، وَنَّى.
- مفردات تتّصل بأواني استخراج ونقل الماء: قُلَّة،قِرْبَة،شَلْبُوطْ، دَلْوْ.
- مفردات تحيل على سياقات استعمال الماء والحصول عليه أو الحرمان منه : شْرَبْ، غْسَلْ، عَامْ، وْرِدْ، تْبَرّعْ، تْبَلْ، يُقْطُرْ، عْطَشْ، شَاحْ، تْنَدَّى.
- مفردات تحيل على خطر الماء: غَاسْ، غْرِقْ.

أمّا المعاني التي تحملها هذه المأثورات فهي متعدّدة ومتنوّعة وتشمل الكثير من القيم وجوانب من حياة المجتمع المطبوعة بالنّدرة والعيش تحت رحمة الطّبيعة، وتعكس أيضا بعض ملامح نمط العيش.

1- سْحَابْ وْتَابِعْ خُوهْ[9]: يُضرَب في وصف تتالي الأشخاص ذوي الصّفات السّلبية.

2- اللّيصَبّلُو سْحَابْ بِسْتَمْطِرْلُو: يُضرب في الحثّ على الصبّر على المصائب.

3- تْصُبْ وْتَسْحَى: أي أنّ المطر تارة ينزل وطورا يتوقّف. ويُقال في باب الإشارة إلى تداول الفرج والشّدة، وتقلّب الأحوال.

4- تْلاَقُو سْحَابِينْ وَلُّو قِرَّة،تَلاَقُو مَرْضِينْ وَلُّو عِلَّة: يُضرب في اجتماع الكوارث والمصائب. ويستشفّ من هذا المثل أنّ الماء كمصدر للحياة يمكن أن يتحوّل في ظروف معيّنة إلى مصدر تهديد لها، أي أنّه "عنصر استقرار وهدم في الآن ذاته" بعبارة عبد الرحيم العطري(العطري، 2018، صفحة 80).

5- اللّي صَبّتْ بِيهْ السّمَا تِسْتَحْمِلْ بِيهْ الوْطَى[10]: يُقال في باب الحضّ على قبول الأقدار التي لا يمكن ردّها.

6- مْنِينْ صَابَّة تْزِيدْ عَارِضْ : يحمل معاني عديدة، ويُضرب في الاستهانة بالشّيء الضئيل الذي يُضاف إلى الكثير فلا يغيّر من الأمر شيئا، أو في الحضّ على التّمادي في عمل ما إلى منتهاه بعد أن يكون قد قُطع فيه شوط كبير.

7- دَخّلُوهْ عَ النَّوْ وَلَّى يْفَرْكِتْ: معناه أدخلوه للاحتماء من المطر فبدأ يفتّش في أغراضهم. ويُضرب في وصف من تُقدّم له يد العون فيتمادى في اتّكاله على غيره.

8- عْمَلْ بِيهْ مَا عَمْلِتْ النَّوبِالرّحَايِلْ: أي أشقاه مثلما تشقي المطر القوم أثناء ترحالهم. يُضرب في من يُنكلّ بغيره ويتسبّب له في ضيق كبير.

9- عَنْدُو كِ تْصُبْ كِ تُحْجِرْ: بمعنى أنه لا يميّز بين نزول المطر ونزول البَرَد. يُضرب في من لا يميّز بين نقيضين؛ الخير والشّر.

10- دَهْسَة وْزَادْ الرَّعْدْ تْكَلّمْ: معناه أنّ الحال ظلام وانضاف إليه قصف الرّعد. يُضرب في الأمر المحدث الذي يزيد في تعميق أزمة قائمة.

11- يِتْبَلْ مِ النَّدْوَة وِيشِيحْ مِ الْفْسَا: يُضرب في باب الإشارة إلى الشّيء الشّديد الحسّاسية، بالمعنى السّلبي للكلمة.

12- اللّي مَا تَصْنِعْشْ فِي وَقْتْ الْعْرَق مَا تَصْنِعْشْ فِي وَقْتْ الْبْرَق: أي أن المرأة التي لا تقوم بالأنشطة الخاصة بصنعة الصّوف في الصّيف، تعجز عن القيام بذلك في فصل الشّتاء. ويُضرب لوصف الشّخص الذي يتكاسل عن إنجاز عمله في إبّانه فيعجز عن تدارك ما فاته حين يصبح الوضع أكثر عسرا.

13- لاَ يْبِلّ لاَ يْعِلّ: يُقال في وصف الشّخص السّلبي.

14- اذَا كَانْ القَطْرَة مِ القَنْطَاسْ وِينْ الهْرُوبْ يَا نَاسْ[11]: يُضرب في عديد السياقات، ومنها وصف الخلل الذي يحدث إذا كان رأس القوم لا يقوم بدوره.

[9]. ورد في صيغة "السَّحَابْ يْتْبَعْ بَعْضَهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 1016).

[10]. ورد هذا المثل ف صيغة "اللي صبّت بيه السماوات تحمل بيه الأراضي" في: (العبادي، 2018، صفحة 129).

15- هْرَبْ مِ القَطْرَة جَ تَحْتْ المِيزَابْ[12]: يُضرب في باب من يتجنّب مشكل ما فيقع في ما هو أفدح منه. وهو متداول في جميع البلاد التونسية على ذات النّحو، مبنى ومعنى، مع اختلاف بسيط في طرق نطقه.

16- مِنْقُطْرَةْلْقُطْرَةتِتْمْلاَ الْغُدْرَانْ/يِتْمْلاَ الْغْدِيرْ[13]: يُضرب في باب الدّعوة إلى المواظبة على عمل ما إلى أن يتحقّق الهدف برمّته.

17- الطّحِينْوالْقَطْرَة: يُقال في وصف حالة الذّلّ والهوان.

18- رْمَاهْ رَمْيِتْ فَاسْ فِي قِلْتَة: يُضرَب في باب من يورد شخص ما موارد الغرر والهلاك ثم يتركه فلا تقوم له قائمة.

19- مِشُّو شِقّ الْقِلْتَة مَالِحْ وْلُوخِرْ مِسُّوسْ: يُضرَب في باب الاحتجاج على التّمييز بين شيئين لهما ذات الانتماء، أو الكيل بمكيالين.

20- جَا الفِيضْ غَطَّى النْفِيضَة[14]: يُضرب في باب وصف الأمر الذي يتجاوز حدّه.

21- كُلْ غْدِيرْ شَرْبِتْ مَاهَا[15]: يُقال في الإشارة إلى انتهاء أمر ما، أو فوات أوانه.

22- الْوَادْقُدَّامْ الْمْشَمّرِينْ[16]: يُضرَب للإشارة إلى دنوّ وقت الاختبار لكشف قدرات من يدّعي التّحدّي.

23- حْمِلْ الْوَادْ مِنْ قَاعُو[17]: يُضرَب في باب التهكّم على من يدّعي شيء ما وهو ليس أهلا له.

24- قِيسْ الوَادْ بْحَجْرَة: يضرب في باب الدّعوة إلى اختبار الأمر الصّعب بشيء يسير يمكن تعويضه.

25- مَايُقْعِدْ فِي الوَادْ كَانْ حَجْرُو[18]: يُضرَب للإشارة إلى زوال الأشياء العارضة وثبات المتأصّل والرّاسخ منها.

26- مَا يْتِمْ وَادْ عْلَى مَجْرَاهْ[19]: يُضرَب لوصف تبدّل الأحوال.

27- يْعِيلْ المَا يْعِيلْ وْيَرْجِعْ لْمَجْرَاهْ: يضرب لوصف من يعود إلى أصله أو وضعه الطبيعي.

28- شِدْ بْذِيلْ الْكَلْبْ لِلّي/حَتَّى تْقَطّعْ الوَادْ وْمَا عْلِيكْ فِي نْتُونْتُو: يُضرب في الحضّ على عدم التّعفّف في الاعتماد على الأشخاص السّيئين لتجاوز محنة أو للقيام بمهمة ما.

29- قَلُّو حَبْلِكْ هَزُّو الْوَادْ، قَلُّو رَاسُو فِيدِي: يُضرب في وصف من يمسك بزمام الأمور في أمر ما فلا يهتمّ بالهامشي من المسائل.

30- لاَ يِعْجْبِكْ نَوَّارْ دِفْلَة فِ الْوَادْ عَامِلْ ظْلاَيِلْ وْلاَ يِعْجْبِكْ زِينْ طُفْلَة حَتَّى تْشُوفْ الْفْعَايِلْ[20]: يُضرب في عدم الاطمئنان إلى المظاهر الخارجية قبل تمحيص جوهر الأشياء.

31- الْعْزُوزْهَازْهَا الوَادْ وْهِيّ تْقُولْ الْعَامْ صَابَة/هْطُولْ سَعْدِكْ يَا اللّي حْرَثْتْ رْبَيّعِي[21]: يُضرب في من لا ينشغل بوضعه المأزوم ويهتمّ بأشياء لا فائدة له فيها.

32- تْعَدَّى عْلَى وَادْ هَرْهَارْ وْمَا تِتْعَدَّاشْ عْلَى وَادْ سَاكِتْ[22]: يُضرب في الدّعوة إلى عدم الاطمئنان إلى الشّخص كثير الصّمت.

33- الْحَدّ وَادْ وِلاَّ عْنَادْ: بمعنى أنّ الحدود بين الملكيات العقارية، خاصة بالنسبة للأراضي التي تعود إلى الجماعات مثل العروش والفرق، تتمثّل في الأودية أو المرتفعات من الأرض كالهضاب والرُّبى.

---

11. ورد في صيغة "إذَا صَارْ الْقَاطِرْ في القُنْطَاسْ وِينْ الهَرْبَهْ يَا نَاسْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 59).
12. ورد في صيغة "هَرَبْ مِن القُطْرَة جاءْ تَحْتِ الْمِيزَابْ" في:(بن رمضان، 2017، صفحة 28)، وفي صيغة "هْرَبْ مِالقُطْرَةجا تَحْتِ الْمِيزَابْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 135)، وفي صيغة "هَارِبْ مِنالقَطْرَهْجا تَحْت الْمِيزَابْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 1061).
13. ورد في صيغة "مِن قُطْرهْ لقُطْرهْ تَحْمِلْ الوِدْيَانْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 815)، وفي صيغة "مِن الْقُطْرْ، تِتْلَمْ الْغُدْرَانْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 177)، وكذلك في صيغة "بِالْقِطِيرَة بِالْقِطِيرَة، تَوَلّي غِدِيرَة" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 289).
14. ورد في صيغة "جَا سِيلْ غَطَّى النّفَايِضْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 336).
15. ورد في صيغة " كل أرض شرْبت ماها" في :(العبادي، 2018، صفحة 607).
16. ورد بذات الصّيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 1074).
17. ورد في صيغة "الْوادْ يحْمِلْ مِنْ قَاعَهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 1074)
18. ورد بذات الصّيغة في: (بن رمضان، 2017، صفحة 191)، وفي صيغة "مَا يَبْقَى فِي الوَادْ كَانْ حَجْرَهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 770)
19. ورد في صيغة " مَا يَبْقَى وَادْ عَلَى مَجْرَاهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 770)
20. ورد في صيغة "لايعجبك نوّار دفْلة على الماء عامل ظلايل، ولا يعجبك زين طفلة حتّى تشوف الفعايلْ في: (العبادي، 2018، صفحة 702).
21. ورد في صيغة "الْعْزُوزَهْ مِذِيهَا الْوَادْ وُهِيَّ تْقُولْ الْعَامْ طَهْمَه" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 40).
22. ورد في صيغة "تْعَدَّى عَلَى وَادْ هَرْهَارْ ومَا يَتْعَدَّاشْ عَلَى وَادْ سَاكِتْ، يَامَا مِنْ سَاكِتْ هَزّْ دَيَارْ أَمَا الهَرْهَارْ عُمْرُو مَا كَانْ غَدَّارْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 179).

34- لاَ تْكَسّرِتْ قُلَّة وْلاَ تْبَزّعْ مَاهَا: مرادف لقول "كأنّ شيئا لم يكن"، ويُضرب في سياق فضّ نزاع أو حسم خلاف، والدّعوة إلى العودة إلى الوضع الأصلي.

35- اللّي يْهِزْ قِرْبَةتُقْطِرْ عْلَى ظَهْرُو[23]: يُضرب في الإشارة أنّ من يرتكب خطأ عليه أن يتحمّل عواقبه.

36- يُنْفِخْ فِي شَلْبُوطُو: لوصف الشّخص الذي يسيطر الغضب فيتوعّد بما لا يقدر عليه.

37- فِ الصّيفْ مَا تُقْعِدْشْ حْذَا القِرْبَة، وْفِ الشّتَا مَا تُقْعِدْشْ حْذَا الحِزْمَة: معناه أنّ من يجلس صيفا حذو قربة الماء، وشتاء حذو حزمة الحطب، لا يرتاح، لأنّه يكون مطالبا بتلبية نداء من يطلبون هذين الغرضين.

38- دَرْبِي دَلْوِكْ مْعَ لَدْلاَوْ، اذَا مَا جَاشْ مَلْيَانْ يْجِي شُولْ[24]: يضرب في الدّعوة إلى المشاركة في ما يعتزم جماعة ما القيام به، لأنّ الرّبح مضمون بغضّ النظر عن مقداره، وكذلك في الحثّ على محاولة طلب الرّزق.

39- هَوّدْتْجْنِيصْعِيبَة، دَرْبِيتْ دَلْوِي الخْطَاهَا: يُضرب على لسان من سعى في عمل ما ولم تسعفه إمكاناته بإنجازه.

40- لاَ رْكَبْ فَاسْ وْلاَ وَنّتَاهْلُو: يُضرب في سياق الغضب على حالٍ ما، والإعلان عن ترك الوضع على حاله دون اهتمام بمآلاته الخطيرة.

41- وَنِّي قَبْلْ السّيلْ/ وَنِّي قَبْلْ لاَ يَدْهْمِكْ السّيلْ: يضرب في الدّعوة إلى الاستعداد لما يُتوقّع من المخاطر.

42- يْهِزْسَاقْتِغْرِقْ لُخْرَى: يضرب لوصف من يخرج من مأزق ليقع في آخر.

43- قِيسْ قَبْلْ مَا تْغِيسْ[25]: يُضرب في الدّعوة إلى تدقيق تفاصيل ومآلات الأمور الخطيرة قبل الإقدام عليها.

44- لْعَبْ المَا تَحْتْ سَاقِيَة[26]: يُضرب في وصف من وقع في مأزق وهو غافل.

45- رَاقِدْ والْمَا يْجْرِي تَحْتُو: يُضرب كناية عن الغفلة.

46- مِنْ فُمْ الْبِيرْ وْلاَ مِنْ قَاعُو[27]: يُضرب في ضرورة الاتّفاق على تفاصيل أمر ما منذ البداية تجنّبا لما يمكن أن يطرأ من مشاكل بعد ذلك.

47- يَعْرِفْ الْبِيرْ وغْطَاه[28]: يُضرب في وصف المطّلع على ما ظهر من الأمر وما بطن منه.

48- فِي بِيرْ ولاَّ فِي كُومْ شْعِيرْ: يُضرب في المجازفة في أمر ما، واحتمال الربح والخسارة.

49- الْبِيرْ الحْلْوْ نَزّاحْ[29]: معناه أنّ البئر الذي تكون ماؤها عذبة سريعة النّضوب. يُضرب في التعبير عن الشيء الجيد الذي ينفد بسرعة بسبب كثرة الطلب عليه.

50- بِيرُوغَارِقْ[30]: يقال في وصف الشّخص الكتوم والذي يظهر ما لا يبطن.

51- الْمْرَا أُخْتْ الجَّانْبَيَة[31]: يُضرب في وصف المرأة باعتبارها تقوم بتدبير شؤون بيتها من تجميع وادّخار لمؤونتها.

52- السَّاقْيَة تِدِّي وْالْبَحْرْ يْلِمْ: يُضرب في وصف الشّخص الجشع.

53- المَا سْمِينْ: يُقال في وصف الماء البارد في فصل الشّتاء، لأنه يردّ شاربه ببرودته، وفي ذلك تشبيه باللّحم السّمين الذي يردّ آكله فلا ينال منه إلاّ القليل.

54- العَطْشَانْتُورْدُو حْفَانِيهْ: يُضرَب في بيان أن كل ذي حاجة يقضيها بنفسه.

55- العَطْشَانْ لاَ تْهُوهِيلُوالجِيعَانْ لاَ تْنَادِيلُو[32]: معناه أنّ العطش والجوع يدفعان المرء إلى البحث عمّا يروي عطشه

---

[23]. ورد في صيغة "اللّي هَاز قِرْبَة على ظَهْرَهْ تْقْطُرْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 178)، وفي صيغة "إلّي هَازِزْ قِرْبَة، تْقْطُرْ عَلَى ظَهْرُو" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 180) وفي: (الرّزقي، 2016، صفحة 32).

[24]. ورد في صيغة: "إرْمِ دَلْوِكْ بين لَدْلاَوْ يَطْلَعْ فَارَغْ وإلاَّ مَلْيَانْ" في:(العبادي، 2018، صفحة 80).

[25]. ورد في صيغة "قِيسْ قَبْلْ مَا تِغِيصْ ولاَ قِيَأسْ بَعْدْ الْغَرَقْ، وإلّي مَا يْشُوفْ قَبْلْ الرّشُوفْ يَحْرِقْ لِسَانُو صَهْدِ الْمَرَقْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 191)، وفي صيغة ""قِيسْ قَبْلْ مَا تِغِيصْ ولاَ قِيَأسْ بَعْدْ الْغَرَقْ " في: (العبادي، 2018، صفحة 1009)، وفي صيغة "مَا تْغِيسْ إلاَّ مَا تْقِيسْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 126).

[26]. ورد في صيغة "الماءْ يَلعب بينْ ساقيهْ وَهُو موشْ فَايقْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 728).

[27]. ورد بذات الصيغة في:(العبادي، 2018، صفحة 815) وفي: (بن رمضان، 2017، صفحة 283).

[28]. ورد بذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 1138).

[29]. ورد بذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 300)، وفي (بن رمضان، 2017، صفحة 182).

[30]. ورد في صيغة "بِيرُو غَارِقْ، وبِلاَ مَاءْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 156).

[31]. ورد في صيغة "إذا كانَ الرَّجِلْ بَحَرْ تْكُونْ الْمَرَا جَانْبَيْهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 62).

ويشبع جوعه، ويُضرب عادة في الحضّ على عدم الإلحاح في النداء من أجل شرب الماء أو تناول الطعام.

56- قَالُوا لِيهَا أَ الْكِرْشْ وَاشْ شِفْتِي فِي الدِّنْيَا؟ قَالِتْ شِفْتْ كْسِيرِتْشْعِيرْ وِامّيهِتْ غْدِيرْ: معناه أنّ الإنسان طيلة حياته لا يدخل جوفه غير خبز الشّعير وماء الغدير. يُضرب في باب الدّعوة إلى الزّهد في متاع الدّنيا.

57- كُولْ مُرْ وِاشْرُبْ مُرْ وْلاَ تْعَاشِرْ كُلّ مُرْ: يُضرب في الدّعوة إلى الصّبر على شظف العيش وتجنّب معاشرة الأشخاص غليظي الطّباع.

58- المَا عَنَّا وِالْعْطَشْ نَاقِلْنَا[33]: يضرب في وصف التّراخي عن استعمال ما يسدّ الحاجة رغم توفّره.

59- اطْبُخْ المَا تَلْقَالرّغَاوِي: يَضرب في وصف العمل الذي لا طائل منه، أو معاشرة شخص لا فائدة منه.

60- عْثَرْ فِيهْ المَا وِالْمِلْحْ: يُضرب في وصف من يُصاب بخسارة يُعتقد أنها ناجمة عن فساد أفعاله وتنكّره لعهد الطعام، إذ أنّ تناول الطعام الجماعي يعتبر عهدا وميثاقا في الأعراف القبلية وتعتبر خيانته من أشنع الأفعال.

61- كِ ذِيبْ عَمْرَة، كَانْ لْقَى المَا مَا يَلْقَالنّبَقْ، كَانْ لْقَالنّبَقْ مَا يَلْقَى المَا: يُضرب في وصف صعوبة الحصول على الرّزق وأسباب العيش.

62- عِدْ رْجَالِكْ وِاشْرُبْ المَا: يُضرب في عدّة سياقات، من معانيه أنّه على الإنسان ألاّ يكون أنانيا بل عليه أن يضع من معه في اعتباره. ويُضرب أيضا في إطار الدّعوة إلى عدم الإقدام على أمر ما دون أن يكون المرء في عصبة تدعمه وتسنده.

63- زِيدْ المَا، زِيدْ الدّْقِيقْ[34]: يضرب في وصف المزايدة بين طرفين، أو أكثر، ما يجعل الخلاف يستعصى على الحلّ.

64- بْعِدْ المَا عَ الْوَرَّادَة: يُضرب في صعوبة حصول طالب الشيء على مبتغاه.

65- الْبْقَرْ الْكُلْ شْرَبْ قْعَدْ كَانْ بُوخْنَانَة/بُوخْنَيْنَة: أي جميع الأبقار شربوا ما عدا بُوخْنَانَة، وهو أقذرهم، اشمئزّ من شرب الماء الذي ذي شرب منه من هو أطهر منه. يُضرب في وصف الدّنيء الذي يدلي بدلوه في أمر ليس أهلا له.

66- مَزَّالِتْ العِينْ تَرْفِعْ المَا وِالْمِلْحْ: يُضرب في التّعجّب من المحدث وغير المألوف.

67- كُلّ إيدْ مَغْسُولَة بْوِجْهْهَا: يضرب للإشارة إلى أنّ كل إنسان يخدم نفسه بنفسه أو في وصف مساعدة الأقارب لبعضهم البعض.

68- غْسَلْتْ عْلِيهْ ايدَيَّ بِالْمَا وِالصَّابُونْ: بمعنى يئست منه وجَفيتَه.

69- غْسَلْتْ مِنُّو ايدَيَّ: نفس معنى القول السّابق.

70- غْسِيلْ التُّرْبَة صَابُونْ الْقِلِّيلْ: معناه أنّ الفقراء يغسلون أثوابهم بالماء والتّراب، وقد كان هذا التّقليد جارٍ لدى السكّان الرّحل عند افتقادهم للصابون.

71- أَوّلْ هْبِيلْ اللّي عَنْدُوجْحِيشَة وْهُوَّ كُلّ يُومْ يْقُولْ الرّْحِيلْ الرّْحِيلْ، وْثَانِي هْبِيلْ اللّي الْعِشَّة هَابْيَة وِالْعْمُودْ طْوِيلْ، وْثَالِثْ هْبِيلْ اللّي عَنْدُودْرِيبِيلَة وْهُوَّ كُلّ يُومْ يْقُولْ الْغْسِيلْ الْغْسِيلْ: حكمة متعدّدة الجوانب تُقال في الإشارة إلى من لا يتفكّر في نقائصه فيقدم على فعل ما ليس له طاقة عليه.

72- أَوّلْ هْتُوفْ اللّي يْجِيبْ بِنْتْ النَّاسْ وْبِنْتْ عَمُّو تْشُوفْ، وْثَانِي هْتُوفْ مِنْ يُقْعِدْ حْذَا غَسَّالْ الصُّوفْ، وْثَالِثْ هْتُوفْ مِنْ دَاخِلْ السُّوقْ بْلاَ مِصْرُوفْ:حكمة متعدّدة الجوانب، تُقال في الإشارة إلى بعض علامات سوء التّقدير، وفي ذلك دعوة إلى الزواج من ابنة العمّ، وتجنّب الجلوس حذو من يغسل الصّوف لكي لا يصيبه البلل، وعدم الذهاب إلى الأسواق دون مال.

73- يْعُومْ العَوَّامْ وْمَا يَنْسَاشْ كْسَاهْ[35]: معناه أنّ الإنسان مهما زاغ لا يجب أن يتفصّى من القيم التي تربّى عليها، أو بمعنى أنّ لكل شيء حدود لا يجوز تخطّيها.

---

32. ورد في صيغة "الْعُطْشَانْ ما تَهَوْهِيلُو، والْجِيعَانْ مَا تَنَادِلِيُو" في:(بن رمضان، 2017، صفحة 42) وفي صيغة ""الْعَطْشَانْ ما تصفّر له، والْجِيعَانْ مَا تَنَادِيهْ" في:(العبادي، 2018، صفحة 891).

33. ورد في صيغة "الماء مقابلنا والعطش قاتلنا" في: (العبادي، 2018، صفحة 727) وفي: (بن رمضان، 2017، صفحة 41)

34. ورد بذات الصيغة في:(العبادي، 2018، صفحة 513)، وفي صيغة "وَاحِدْ يزِيدْ الْمَاءْ، والأَخُرْ يزِيدْ الدّقِيقْ" (بن رمضان، 2017، صفحة 75)

35. ورد في صيغة "الْعَوَّامْ يعُومْ ومَا يِنْسَاشْ كِسَاهْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 190)

74- يْعُومْ فِ النَّاشِفْ: يُقال في وصف من تعرّض إلى عملية تحيّل أو خداع.

75- الغَسَّالْ يْغَسِّلْ وْمَا يِدِّيشْ لِلْجَنَّة: معناه أنّ حسب من يتولّى غسل الميّت أن يقوم بمهمته أمّا عاقبة المتوفى فهي رهينة ما قدّم من خير أو شرّ. ويضرب للإشارة إلى ضرورة قيام المرء بواجبه ويترك ما ليس له به شأن إلى من هو مسؤول عنه.

76- إِيدِيهْ/إِيدُوتْجَمِّدْ الْمَا:يُضرب لوصف براعة المؤدّب/العرّاف الذي يكتب التّمائم.

77- كَانْ صَبِّتْ انْدْبُوا، كَانْ سْحِتْ انْدْبُوا[36]: يُضرب في وصف من يتبرّم من جميع الأوضاع، فيصعب إرضاءه.

78- الْبَاهِي مِ الشّتَا يِتْنَدَّى، وِالْخَايِبْ مِ الرّبِيعْ يْفُوحْ، وِالْحُرّ مِنْ لَهْجْتُو تِتْغَدَّى وِالْخَرْشِي فِي عِشّتُو مِنْفُوخْ: معناه أنّ الشّيء الجيّد تظهر عليه قطرات النّدى من فصل الشّتاء رغم سوئه بسبب برودة الطقس، والشّيء السّيء تفوح نتونته رغم رائحة الطيب الذي يحمله فصل الرّبيع، والمستمع إلى الإنسان الحرّ يتغذّى من كلامه، وناكر المعروف يتعالى برياءه حتى وهو مقيم في خيمته الصغيرة.

79- تَطْلِعْالْقِرّة وِنْوَلُّوا عْيِرّة: يقال للإشارة إلى استعادة الناس راحتهم بعد انقضاء القرّة. نظرا لما تسبّبه لهم من متاعب بسبب برودة الطقس وتساقط المطر.

80- قَالُوا لِيهَا أ الجْلِيدَةاشْبِيكْ بَارْدَة يَاسِرْ؟ قَالِتْ لِيهُمْ: نَخْفِرْ عْلَى حَرّ أوِسُّو: يقال في وصف شدّة التّناقض بين برد الشّتاء القارس وحرّ الصّيف القاسي. وهو يترجم صعوبة مناخ المنطقة.

81- أَجِّيتْ الْعُودْ اللّي حْبِيتُو بِيدِي بِيهْ تِكْوِيتْ[37]: يُضرب في الأسى الذي يشعر به المرء إذا قوبلت فضائله بالنكران والجفاء.

82- اللّيإِيدُو فِ الْمَا مِثُّو كِ اللّي إِيدُو فِ الْعافْيَة[38]: يُضرب للإشارة إلى التّباين بين أحوال من هو في وضع جيّد ومن هو في وضع سيّء.

83- إِيدْ فَاهَا الْمَا وْإِيدْ فَاهَا العَافْية: يُضرب للإشارة إلى المنافق الذي يُقوم بالشيء ونقيضه.

84- الْخَبَّازة مِنْ مَاها: معناه أنّ الخبّازة هي من يعرف ما إذا كان العجين يحتاج مزيد من الماء أم لا، وهي ليست في حاجة إلى رأي غيرها. ويُضرب للإشارة إلى أنّ كلّ صاحب عمل، أو شيء ما، هو أعرف به من غيره، ما يجعله في غنى من آراء الآخرين ومقترحاتهم.

85- شْرَبْ مِنْ رَاسْ الْعِينْ[39]: يُضرب في وصف من أخذ معلوماته/معارفه من مصدرها.

86- جْمْرَة وْطَيِّحْتْها فِ الْمَا[40]: يُضرب في عدّة مقامات، من بينها الإشارة إلى من يُفحم غيره بفعل أو قول، ومنها الإشارة إلى من تخور قواه أو عزيمته.

87- كِالزّيْتْفُوق الْمَا[41]: يُضرب لوصف الوضع الهادئ أو حالة الانسجام والاتّفاق.

88- يْهِزْ مِ الجَّابْيَة وِيْحُطْ فِ الْخَابْيَة[42]: يُضرب في الإشارة إلى ما يقوم به شخص ما من أفعال تفتقر إلى المعقولية والجدوى.

89- جَرِّبْ الْوَادْ بِجْحَا[43]: يقال في سياق الدّعوة إلى عدم المجازفة وانتظار ما سيسفر عنه الأمر مع الآخرين.

90- يْطَلّعْ فِ الْمَا لِصَّعْدَة[44]: يُضرب لوصف من يتّخذ موقفا مناقضا للمنطق ولطبيعة الأشياء.

---

[36]. هذا المثل ورد في حكاية مفادها أنّ امرأة لها بنتان، إحداهما متزوّجة في بلاد إفريقيا (الشمال الغربي التونسي) والأخرى متزوّجة في بلاد الجريد. فكانت إذا أقبل الخريف وأمطرت تخشى على صابة التّمور في الجريد لئلاّ تفسد، فيتبدّد قوت إبنتها القاطنة في الجريد، وتفرح لبشائر موسم زراعة الحبوب في الشمال، حيث تقطن ابنتها الثانية. والعكس صحيح أيضا، حيث تَسْلَم صابة التّمر ويتضرّر موسم الزراعةبسبب انحباس المطر. وبذلكتكون غير راضية بنزول المطر،ولا هي بانحباسه أيضا. وقد ورد في صيغة "كَانْ صَبِّتْ إِنْدْبِي وكَانْ صْحَاتْ إِنْدْبِي" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 119)، وفي صيغة "إذا صَبِّتْ إِنْدْبِي وإذَا صْحِّتْ إِنْدْبِي في:(العبادي، 2018، صفحة 60).

[37]. يعود هذا المثل إلى حكاية مفادها أنّ هنالك رجل سجين بتهمة باطلة، فاستدعاه الحاكم، وكان أمامه إبريق على النار وفيه ماء يغلي، واشترط عليه ألاّ يُطلق سراحه إلاّ إذا فسّر له ما يقوله الماء أثناء غليانه، وذلك من باب التعجيز. فقال له إنّه يقول "أَجّيتْ الْعُودْ اللّي حْبِيتُو بِيدِي بِيهْتِكْوِيتْ". فأعجب بذكائه وأطلق سراحه. وقد ورد في صيغة "أَجّيتْ أَجّيتْ، مِن السَّمَاءْ صَبِّيتْ والعُودْ إِلّي حِبِيتْ بِيهْ تِكْوِيتْ" في (بن رمضان، 2017، صفحة 86)، وفي صيغة "عُودْ إِنْ اَحْبِيتْ بِيهْ تِكْوِيتْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 103).

[38]. ورد في صيغة "واحد يدّهْ في الماء وواحد يدّهْ في النّار" في: (العبادي، 2018، صفحة 1073).

[39]. ورد في صيغة "أُورِدْ مِنْ رَاسِ الْعِينْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 74).

[40]. ورد في صيغة "جَمْرَة وطَاحِتْ في الماء" في:(بن رمضان، 2017، صفحة 2)

[41]. ورد بذات الصّيغة في:(بن رمضان، 2017، صفحة 25)

[42]. ورد بذات الصّيغة في (بن رمضان، 2017، صفحة 77)

[43]. ورد في صيغة "جَرّبْ الْوادْ بِغِيرِكْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 88).

[44]. ورد في صيغة "يَطَلّْعْ في الْمَاءْ لِلسَّعْدَة" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 235)، و"يطَلّْعْ الْمَاء لِلصَّعْدَه" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 146)، و"كيفْ من يطلّع في الماء للصّعدة" في: (العبادي، 2018، صفحة 659).

91- شُوفْ مَاهْ وِينْ يْصُبْ[45]: يقال في إطار دعوة شخص ما لاستطلاع موقف غيره.

92- اذَا مَا جَاشْ قِرْبَة يْجِي شَلْبُوطْ[46]: معناه أنّ شيئا ما إذا لم يصلح لغرض ما، صلُح لغيره.

93- اللّيقَطْرُولُو مَاتْ[47]: يُضرب في باب الدّعوة إلى عدم تبديد الجهد في ما لا جدوى منه.

94- اللّي شَاحْ يِلْبِسْ[48]: يُضرب في حثّ من فرغ من أمر ما على الانصراف إلى غيره، أو في دعوة من جَهَز إلى الكفّ عن التّلكؤ.

95- حَضِّرْنَا الْمَا وِ الْحْطَبْ وِالْخَطَّابْ مَا حْضَرْ[49]: يضرب في ما من استعدّ لأمر ما على أمل إنجازه ولكنه خاب في رجاءه.

96- صَبّابْ مَا عَ لِيدِينْ[50]: يُضرب لوصف من تكون مشاركته هامشية – أو من لا رأي له– في عمل ما.

97- طَيِّحْلُو/صَبُّلُو الْمَا فِ زْكَايِبِهْ[51]: يضرب في من يُحبط غيره أو يُروّعه بخبر سيّء.

98- كَايِنُّو صَبْ عْلِيهْ سْطَلْ مَا[52]: يُضرب لمن يُفاجئ، أو يُخجل، غيره بما لا يتوقّع، فيذهُل.

100- وْحِلْ وَحْلِتْ الْمِنْجِلْ فِ الْقُلَّة[53]: يُضرب في من يقع في مأزق، فلا يستطيع الخروج منه إلاّ بكلفة باهضة.

2.6 المأثورات ذات المضامين المرتبطة بتربية الماشية:

تشتمل هذه المأثورات على مفردات ومضامين متّصلة بتدابير تربية الماشية – وخاصة منها الأغنام، وفي مرتبة تالية الماعز– نظرا لما كان للنّشاط الرّعوي من شيوع وهيمنة في منطقة السّباسب العليا.

1- يَا الْوَارِدْ النّْقِيعْ فِ الصّْقِيعْ لاَكْ بِالشْتَا وْلاَكْ بِالرّْبِيعْ: بمعنى أنّ المواشي التي تشرب مياه الغدران في الشّتاء – حين تكون متجمّدة – تمرض وتهزل فلا تستعيد عافيتها حتّى لو أكلت العشب في فصل الرّبيع.

2- نَدْوِتْ السِّكَّة مَا مِنْهَا فَكَّة: معناه أنّ الشّاة التي تأكل العشب النّدي في زمن الحرث (فصل الخريف) لا فكاك لها من المرض والهزال، لذلك يتمّ رعي الأغنام ثر تبخّر النّدى،بعد طلوع الشّمس.

3- قَالُوا لِيهَا أَ الْمِعْزَة لِيشْ تُولْدِي فِي الْقِرّة ؟ قَالِتْ لِيهُمْ يْهِزّْنِي السَّارِحْ بُو خُبْزْتِينْ[54] وِلاَّ لاَ لُو دَقّْتِينْ: يُقال في باب وصف صعوبة تربية الماعز لحساسيته المفرطة من برودة الطّقس.

4- قُلُّو: رَايْ تْعَدّْتْ قِرّْتْ الْحْسُومْ يَا سَارِحْ يَا مْشُومْ انْزِعْ كْسَاكْ وْعُومْ، قُلُّو: لاَ، بَعْدْ أَرْبْعِينْ يُومْ[55]: يُقال في سياق وصف حال الشّقاء الذي يعيشه مربّي الماشية بسبب أيّام القرّة وخشيته من استمرار تقلّبات الطّقس خلال فصل الرّبيع. وذلك لأنّه يشتمل على عديد الْقُرْز(جمع قرّة) مثل قِرّتْ حيّان وقِرّتْ لَجْلاَمْ، وفي هذا السياق يُقال "الْوَهْقَة مِ الشْتَا وِالنّْتُونَة/الصّقْعْ فِي الرّْبِيعْ"، بمعنى أنّ النّاس يخشون فصل الشّتاء ولكن البرديكون في فصل الرّبيع.

5- الْغْلَمْ تْعِيشْ وِينْ لْعَجْ الْبَرْقْ: معناه أنّ تربية الأغنام تقتضي التّرحال الدّائم بحثا عن المراعي في المناطق المطيرة.

6- قَالِتْ الْغْلَمْ: تَجّيتْ مِنْ شَرّْ أَوِسُّو، وْنْجّيتْ مِنْ عْطَشْ اللّْيَالِي: معناه أنّ الغنم تسوء أحوالها بسبب الجوع في شهر أوسّو حيث تشتدّ حرارة الطّقس، فيهتمّ الرّعاة بأمر توفير الماء لها ويستهينون بالمرعى، وتسوء أحوالها أيضا بسبب العطش طيلة اللّيالي السّود (فصل الشّتاء) لأنّ الرّاعي يتولّى البحث عن الدفء والمرعى ويهمل الماء بدعوى برودة الطّقس وقلّة الحاجة إليه.

---

45. ورد بذات الصّيغة في: (بن رمضان، 2017، صفحة 247)
46. ورد في صيغة "إذَا مَا تْجِي قِرْبَة تْجِي قْرْمُوطْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 68).
47. ورد بذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 177).
48. ورد بذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 176).
49. ورد في صيغة: حضرتْ الما والحَطَب والرَّاجِلْ مَا خَطَبْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 384).
50. ورد بذات الصّيغة في:(العبادي، 2018، صفحة 523).
51. ورد في صيغة "صبْ الماء في ركَايْبهْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 524).
52. ورد في صيغة "كيفْ من صبّوا عليه سطلْ ماء" في: (العبادي، 2018، صفحة 658).
53. ورد بذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 1078).
54. السَّارِحْ بُو خُبْزْتِينْ: السَّارِحْ بمعنى الرّاعي، وذلك في إشارة إلى تقليد منح راعي المواشي خبزتين كغذاء طيلة يوم كامل.
55. ورد في صيغة "بَعْدْ قِرّةْ الْحْسُومْ أَرْمِي عْبَايْتِكْ وعُومْ وزِيدْ عِشْرِينْ يُومْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 321)، وفي صيغة "إذا دَخْلو لِحْسُومْ إفْسَخْ جَرْدِكْ وَعُومْ"(العبادي، 2018، صفحة 58).

7- كيمَقَالِتْ الْبْهِيمَة مِنْ نْهَارْ اللّي ضْنِيتْ لا كْليت عْشَيْ وَافِي وْلاَ شْرَبْتْ أُمَّاهَا صَافْيَة[56]: معناه أنّ الأتان بعد أن تلد يشاركها الجحش في عشائها ويُعكّر لها الماء أثناء شرابها. ويُضرب هذا المثل للإشارة إلى عناءالوالدينواللذين تضطرّهما الخصاصة إلى تبجيل أبنائهم وحرمان أنفسهم.

3.6 المأثورات المرتبطة بالزّراعة:

تدور أغلب المأثورات في هذا العنصر حول الأنشطة الخاصّة بزراعة الحبوب، ولا سيّما الحراثة. ومن بين 16 مأثور نجد منها ثلاثة فقط يتناولان أمورا تهمّ الشّجر، وربّما ما يفسّر ضعف الاهتمام بهذا الموضوع هو شيوع ورسوخ سمات الثّقافة الرّعوية وبدرجة أقلّ زراعة الحبوب. أمّا غراسة الأشجار المثمرة فهي تقليد بدأ مع تركّز المستوطنين الفرنسيين في المنطقة خلال حقبة الاحتلال، وشجّعته فيما بعد دولة الاستقلال.

1- مَا حَرْثْ إلاَّ عَ الثْرَى وْمَا زْوَازْ إلاَّ بِالرْضَا[57]: معناه أنّ حراثة الأرض لا تكون إلاّ بعد نزول المطر، والزّواج لا يتمّ إلاّ برضاء الزّوجين.

2- عَامْ الجْلِيدْ احْرِثْ وْزِيدْ: يُقال تفاؤلا بنزول الجليد باعتباره مؤشّرا على أنّ العام سيكون مطيرا.

3- وَاشْيْقُلِّكْ الْفَلاَّحْ، قُلُّو مْلِيحْ، إلاَّ حَرْثْ النَّوْ وحْصَادْ الرِّيحْ: معناه الدّعوة إلى تجنّب الحرث أثناء نزول المطر، وتجنّب الحصاد أثناء هبوب الرّيح.

4- مَا تْزْرُعْ الاّ مَ تْبَرّجْ، وْمَا تَحْرِثْ الاّ مَ تْمطِّرْ: يقال في التحذير من زراعة الحبوب قبل أن "تْبَرّجْ"،أي قبل أن تظهر كتل السّحب الحاملة للمطر، وَمن الحراثة قبل القيام بالتَّمْطِيرْ، وهو تقسيم الحقل إلى قطع صغيرة بواسطة المحراث، وتسمّى الواحدة منها مْطِيرَة، وذلك لتسهيل وتنظيم عمليتيْ البذر والحرث.

5- اذَا غْضَبْ الْمُحْرَاثْ يَرْضَى الْمِنْجِلْ: يُقال في باب التّفاؤل بأن تكون صابة الحبوب جيّدة حتى وإن كان موسم الحراثة (فصل الخريف) قليل الأمطار.

6- انْشِدْ عْلَى اكْتُوبِرْ وِينْ بَزّعْ مَاهْ: معناه اسأل عن المناطق التي عرفت الأمطار في شهرّ أكتوبر، لأنها ستشهد عاما خصبا.

7- نَوْ اكْتُوبِرْ تُصْبِغْ فِ الْوْطَى كِ الْيْدَامْ: معناه أنّ المطر الذي ينزل في شهر أكتوبر يكون تأثيره على التّربة طويل الأمد، مثلما تترك الدّهون أثرها على الثّوب.

8- اذَا تْكَلّمْ السْحَابْ فِ اللّيَالِي سَجُّوا لَلْوَاحْ وِالْمْذَارِي[58]: معناه إذا قصف الرّعد ونزل المطر في اللّيالي السّود أعدّوا الألواح والمذاري (أدوات تنقية الحبوب بعد دراسة السّنابل). ويقال حول أهمية المطر في اللّيالي السّود، نظرا لآثاره الايجابية على صابة الحبوب.

9- اللّيَالِي أمْطَارْهُمْ/نَوْهُمْ مْوَالِحْ وِرْيَاحْهُمْ صْوَالِحْ: معناه أنّه في الليالي البيض لا ينبت العشب ولا تنمو المزروعات حتى وإن نزلت الأمطار، بسبب شّدة برودة الطّقس، بينما تكون الرياح أثناء ذلك جيّدة لأنها تنقل لقاح الأشجار.

10- نَوْ مَارِسْ ذْهَبْ خَالِصْ[59]: يقال لوصف أهمية أمطار شهر مارس بالنّسبة لزراعة الحبوب.

11- انْشِدْ عْلَى بَرْدْ فُورَارْ، وِانْشِدْ عْلَى نَوْ مَارِسْ: معناه أنّ أعلى درجات البرودة تكون في شهر فيفري، وأفضل الأمطار بالنّسبة لزراعة الحبوب تلك التي تنزل في شهر مارس.

12- يْقُولْ ابْرِيلْ: شَيّعْهَالِي بْخِيرْ يَا مَارِسْ الْبْخِيلْ، رَانِي نَا ابْرِيلْ الْبَوَّالْ نْطَلّعْهَا مِنْ قَاعْ الْبِيرْ: معناه أنّ زرع الحبوب إذا صادف وأن نال نصيبا من أمطار شهر مارس سوف تكون أمطار شهر أفريل ذات فائدة كبيرة عليه.

13- ابْرِيلْ يْطَلّعْهَا مِنْ قَاعْ الْبِيرْ[60]: بمعنى أن في شهر أفريل تنمو سنابل الحبوب كثيرا بفضل كثرة الأمطار.

---

[56]. ورد في صيغة " قال البهيم: من يوم اللي تولدتْ لا شرَبتْ ماء صافي ولا كليت عْبار وافي، ولا رقدت في الدّافي" في: (العبادي، 2018، صفحة 958).

[57]. ورد في صيغة "مَا يُكُونْ الْحَرْثِ كَانْ عَلَى الثَّرَى، ومَا يُكُونْ الْعِرْسْ كَانْ بِالرّضَى" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 162)، وفي صيغة: "مَا حرثْ كانْ عَلى الرُّوى وعن الزّواجْ بَعد الرّضَا" في: (العبادي، 2018، صفحة 749).

[58]. ورد في صيغة "إذَا ضرَبْ الرَّعَدْ في اللَّيَالِي، إفْرحُوا يَا عِيَالِي وحَضّرُوا الْفُرْكْ والْمَذَارِي" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 322).

[59]. ورد في صيغة "المَطَرْ في مارسْ ذَهَبْ خَالِصْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 800)، وفي صيغة "مَطَرْ مَارِسْ، ذَهَبْ خَالِصْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 321)، وفي صيغة "مَطْرَهْ فِي مَارِسْ، ذَهَبْ خَالِصْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 133).

14- الْمِتْحَوْلَهْمِذْبَالَة لِوْ كَانْ عْرُوقْهَا فِ الْمَا[61]: يقال كناية عن الشّجرة التي تُنقل من مكان غراستها الأول إلى مكان آخر فتذبل، وهو يضرب للإشارة إلى سوء حال من يتغرّب ويبعد عن موطنه وأهله.

15- السَّجْرَة سَمْعِتْ الْحِسّ، قَالِتْ: انْتَ اشْكُونْ؟ قَالْ: نَا الْمَا. قِالِتْ لُو: جِيتْ يَا نُصْرْتِي وْنُصْرُتْ عْدُويَا. سَمْعِتْ حِسّ أُوخِرْ، قَالِتْ: اشْكُونْ؟ قَالْ: نَا الْمُحْرَاثْ. قَالِتْ لُو: جِيتْ يَا نُصْرْتِي وْخَذْلِتْ عْدُويَا. معناه أنّ الشّجرة في حاجة إلى الماء لكنّها تحتاج أكثر إلى العزق بواسطة المحراث لإزالة الأعشاب الطّفيلية.

16- يعطيك مطْرَة تْغَذّيكْ اقَّاسِيحْعُقْبْ اللّيالي: يقال في باب طلب نزول المطر في أواخر الليالي السّود، لما فيها من فائدة كبيرة للغراسات والأشجار وكذلك مساهمتها في نمو العشب.

4.6 مأثورات متعلّقة بمعارف ومعتقدات حول نزول المطر:

1- دَارْالسَّمْشْ لِلزّمْرْ وْدَارْ الْقْمَرْ لِلْمْطَرْ: بمعنى أنّ الهالة التي تحيط في بعض الأحيان بالشّمس تدلّ على انعدام أمل نزول المطر في ذلك الشّهر، وحين تظهر هالة حول بالقمر فهي تشير إلى قرب نزول المطر.

2- كَانْ حَمّرْتْ فِ الصّبَاحْ حُطْ الْبَرْدْعَة وَارْتَاحْ وْكَانْ حَمّرْتْ فِ الْعْشِيَّة اكْبِسْ الْبَرْدْعَة واقْبُضْ التّنِيَّة[62]: معناه إذا احمرّ الشّفق في الصّباح معناه أنّ هنالك إمكانية لنزول المطر، وإذا احمرّ في المساء فذلك يشير إلى أنّ الطّقس سيكون صحوا.

3- الرِّيحْ الجْبَالِي عْقِيرْ: بمعنى أنّ الرّياح الشّمالية لا تجلب الأمطار.

4- القِرّة تْرَبّعْ وِلاَّ تْسَبّعْ: بمعنى تدوم 4 أيام أو 7 أيام[63].

5.6 المأثورات الحاملة لمعنى التبرّم من الجفاف:

1- عِيبْالْوْطَى قِلّتْ النّوْ وْعِزّتْ بْنَادَمْ سْكَاتُو
وْعَزّْي بْنَادِمْ اذَا ذَلّْ وِالصَّايْبَةمْقَابْلاَتُو[64]

بيت شعر حكمي يضمّ ثلاث حكم، أوّلها – وهو ما يهمّنا- مفاده أنّ لا شيء يعيب الأرض أكثر من جفافها.

2- كِ سْمَاهَاكِ وْطَاهَا: يُضرب في وصف حالة الجفاف وانعدام الأمطار.

3- كَانْالسّمَا وِالطَّارِقْ: يُضرب لوصف حالة الجدب.

4- رَبّْهَا رَبّ وَاحِدْ: حين يسأل أحد ما يقيم في منطقة جدباء شخص قادم من منطقة أخرى عن أحوالها، فإن كانت هي الأخرى تعاني من انحباس الأمطار، يجيبه بالقول "ربّها ربّ واحد".

5- حَمْرَا دَمْرَا: يقال لوصف الأرض الجدباء.

6.6 المأثورات التي تعكس قيمة الماء في حياة المجتمع:

تحمل هذه المأثورات، كغيرها ممّا سبق ذكره، مجموعة هامّة من المصطلحات اللّسانية التي تعكس نمط العيش الذي كان سائدا بمنطقة السباسب العليا التونسية قبل بضعة عقود من الزّمن. وتحمل أيضا رصيدا معتبرا من القيم الاجتماعية وفي طليعتها الأهمية القصوى للماء. فهو مصدر للحياة والثروة والرّخاء والنظافة والطّهارة، وتتكثّف فيه بغية الدّنيا والدّين. فمثلما هو

---

60. ورد في صيغة "المَطَرْ في أفريل تْخَرّجْ السّبُولَة من قَعْرْ الْبِيرْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 800)، وفي صيغة "في ابرير تخرج السّبولة من قاع البير" في: (بلحاج عيسى، 1988، صفحة 79).

61. ورد المثل في صيغة "المِتْحوْلَهْمِذْبَالة وَلَوْ تْكُونْ عْرُوقْهَا في الْمَاءْ" في: (العبادي، 2018، صفحة 784) وفي: (بن رمضان، 2017، صفحة 341). وفي صيغة "المِتْثَقْلَة مِذْبَالهْ كِيفْ تْكُونْ عْرُوقْهَا عَ الْمَاءْ" في: (الرّزقي، 2016).

62. ورد في صيغتين في: (بن رمضان، 2017، صفحة 319): "إذَا حِمَارتْ فِي الصّبَاحْ حُطْ بِهِيمِكْ وإرْتَاحْ، وإذا حِمَارتْ فِي الْعَشِيّة حَضّرْ الْبَهَيْمْ والْعَصَيَّة" و"إذَا حِمَارتْ فِي الصّبَاحْ حُطْ بَرْدَعْتِكْ وإرْتَاحْ، وإذَاحِمَارتْ فِي الْعَشِيّة رَكِّبْ بَرْدَعْتِكْ وإتْهَنّا". وفي صيغة "إذَا إحْمَارتْ فِي الْعَشِيّة هَيّ البَرْدْعَهْ الْكْسَيَّهْ، وإذَا إحْمَارتْ فِي الصّبَاحْ خَلّ الْبْهِيمْ يرْتَاحْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 66). وجاء أيضا بصيغة شبه متطابقة مع ما سلف ذكره في:(العبادي، 2018، صفحة 57). ويوجد لدى أهل الأندلس مثل يشبهه في المعنى، وهو "إذا ريت بالغدو، خَلّي دوابّك يَرقدُ، وإن رَيْتَ بالعَشِي يَسِّر دوابّك للمشي". ويقول عنه محمد بن شريفة "هو من أمثالهم في التنبّؤ بالأحوال الجوية التي تتضمن تجاربهم، وحصيلة خبراتهم وثمرة معارفهم بأحوال البيئة المحلية، وظواهرها الطبيعية، وقد أصبح بمثابة القاعدة المطّردة عندهم. ودوّنته تقاويمهم، فهذا صاحب تقويم قرطبة يقول: وإذا رأوا الحمرة في الآفاق عند طلوع الشمس وعند غروبها مع صحاب كثير استبشروا بها للخصب". ونجد هذا في الأمثال الاسبانية (...) ونجد المثل أيضا في بلدان المغرب الكبير بصيغ متشابهة منها: إذا احْمارتْ مْع العشية، اربَطْ حمارك للمشيَة، وذا احْمارتْ مْع الصباح، اطْلَقْ حْمارك يسْتْراحْ". وما ذلك إلاّ لتشابه الأحوال الجوية في هذه البلدان".(القرطبي، 1975، الصفحات 159-160)

63. ورد بذات الصيغة في :(العبادي، 2018، صفحة 997).

64. ورد في صيغة "عْيبْ الأَرْضْ قِلّةْ المَطَرْ وعيبْ الرّاجِلْ في سَكَاتُو، وإلّي يحْمِلْ كِلْمِةْ الذّلْ مُوتُو خِيرْ مِنْ حَيَاتُو" في (بن رمضان، 2017، صفحة 74)

سبب نيل الرّغائب الدّنيوية، فبواسطته، أيضا، تتمّ الطّهارة بغاية الولوجإلى بوتقة المقدّس.

1- لْقِيتْ الْمَا وِالْحْطَبْ بَاتْ وِالْقسْمْ يَاتِي بِيهْ الله: معناه أنّه أثناء التّرحال على المرء ألاّ يمكث للمبيت إلاّ إذا عثر على الماء والحطب، وذلك لحاجة الإنسان ورواحله ومواشيه إلى الماء وحاجته أيضا إلى الدّفء. ويذكّرنا هذا القول بقاعدة أساسية تُعتمد أثناء ظعن البدو، فتوفر أو انعدام الماء والحطب هما المتحكّمان الأوّلان في تحديد مراحل السّفر لديهم.

2- الْمَا اللّي مَاشِي لِلسِّدْرَة الزّيتُونَة أَوْلَى بِيهْ[65]: معناه تبجيل شجرة الزّيتون على السّدر بالماء، لإحيائها، نظرا لفوائدها. في العادة يُضرب في تبجيل الأهمّ – من الأشياء والأشخاص- بالدّعم والإسناد على الأدنى منه أهمية. وهو من الأمثال الشائعة في البلاد التّونسية.

3- الْخِيرْ فِي السّمَا: معناه أنّ الخير في نزول المطر. فالماء رديف الخير ومصدر النّعم، وافتقاده بلاء وشرّ مستطير.

4- الْخِيرْ فِي دْمُوعْ السّمَا: معناه أنّ الخير يمكن في المطر.

5- هِيلِي ا أُمَّا هِيلِي وِالنَّوْ خِيرْ مِ الشّهِيلِي: يُقال أثناء نزول المطر، من قبيل الفرح والاستبشار به.

6- الْعْطَشْ بِدّي عَلَى نْهَارْ، وِالشَّرّْ بِدّي عْلَى شْهَرْ: معناه أنّ العطش يتسبّب في موت الإنسان إن امتدّ ليوم فأكثر، بينما الجوع لا يميته إلاّ إذا تجاوزت مدّته الشّهر. وهذا يشير إلى الأهمّية التي يوليها الإنسان إلى الماء.

7- مُطْرِتْ بْلاَدْ بِشْرِتْ لُخْرَى[66]: يقال عند سماع خبر نزول المطر في جهة من الجهات، استبشارا بقرب نزوله.

8- سْحَابَاتْ فِي غِيرْ وَطْنِي مَا شَاشْ بَالِي لْمَاهَا: معناه المباشر أنّ المرء لا يهتمّ بماء المطر الذي ينزل في غير موطنه، لأنّ نفس الإنسان تهفو إلى ما يعود عليه بالنّفع فتغتبط بوجوده. ويُضرب في عدم المبالاة بما ليس للمرء فائدة فيه.

9- الْمَا حَيَّايْ النّْفُوسْ وْطَهَّارْالْمِنْزُوسْ: معناه أنّ الماء يحيي النّفس ويطهّر النّجاسة. وفي هذا القول تتجلّى مركزية الماء في المجال الدنيوي، باعتباره مصدر الحياة، وهو مصدر الطّهارة، بما هي شرط أساسي للولوج إلى المجال الديني.

10- الْمَا يْنِحِّي الجْدَامْ[67]: يُضرب في وصف أهمية الماء في إزالة الأوساخ وما يظهر على الجلد من حبوب وبثور.

11- يُشْرُبْالْفَكْرُونْ عْلَى عِينْ قْفَاهْ: معناه أن السّلحفاة يشرب وهو مستلقي على ظهره. يُقال في وصف كثرة الأمطار، في سياق الغبطة بوفرة الماء.

12- كِالْخْرُوعْ تُشْرُبْ الْمَاوِتْضَيّْقْ عَ السّْوَانِي[68]: يضرب لوصف الشّخص السّيء الذي تكثر مفاسده. ويستبطن هذا المثل قيمة الماء في مجال الزّراعة والحذر من أن يناله من لا يستحقه.

13- النّوْ شِدّةوِالرّْخَا فِيهَا: يقال في وصف ما يحدثه المطر من مشقّة بسبب بساطة المأوى (خيمة أو كوخ) ومتطلّبات العناية بالمواشي، ولأنّه، في ذات الوقت مصدر لتوفير الماء والمرعى، أي أسباب الحياة والرّخاء.

14- مَا تْسَيّبْ مَا الاَّ مَ تْشِدْ مَا[69]: يُضرب في الدّعوة إلى عدم التّفريط في ما في متناول اليد حتى يُعوّض بآخر. ويحيل في معناه المباشر على المكانة المركزية للماء باعتباره مادة حيوية لا يمكن الاستغناء عنها والتّفريط فيها مهما كانت مواصفاتها، بل حتى في حالة الرّغبة في استبدال ماء بماء يجب أن يكون ذلك متزامن لكي لا يُفتقد ولو للحظة واحدة. فالمهمّ، في نهاية المطاف، هو ألاّ تحدث لحظة افتقاده، لأي سبب من الأسباب.

---

65. ورد المثل بذات الصيغة لدى: (الرّزقي، 2016، صفحة 48) ولدى (العبادي، 2018، صفحة 727)ولدى(بن رمضان، 2017، صفحة 48)

66. ورد في صيغة "إذا مُطْرِتْ بَلاَدْ بَشْرِتْ بْغِيرْهَا" في: (العبادي، 2018، صفحة 70).

67. يتداول هذا المثل في عدّة نواحي من بلاد المغرب، وقد ورد في صيغة "المَاءْ يَغْسِلْ الجُذَامْ" في: (أمزيان، 2018-2019، صفحة 56).

68. ورد ف صيغة "كِالْخَرْوَعْ، يُشْرُبْ ويضَيّقْ عَلَى الشّجَرْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 237)، وفي صيغة "كِالْخَرْوَعْ يُشْرُبْ الْمَاء ويضَيّقْ عَ الشّجَرْ" في: (الرّزقي، 2016، صفحة 121) وبذات الصيغة في: (العبادي، 2018، صفحة 648) مع تبديل لفظ "ع" ب"على".

69. ورد في صيغة: "ما تفرّط في ماء إلاّ ما توجد ماء" لدى (العبادي، 2018، صفحة 744) ولدى (بن رمضان، 2017، صفحة 192)، وأورده ابن عبد ربّه في "العقد الفريد" ونسبه إلى عوام أهل الأندلس، في صيغة "لا تصب ماء حتى تجد ماء" (القرطبي، 1975، صفحة 105). كما توجد صيغة أخرى من هذا المثل في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر على النّحو التالي: "ما تهْرِقْ مَا، حتى تْصِيبْ ما" (خليفي، 2003، صفحة 83). ويبدو أنّه هذا المثل من أمثال الغرب الإسلامي قديما، وأخذ شكل اللهجات المحلية في مختلف الأقطار والجهات عبر الأزمان.

15- كُلْقُطْرَة تْصَادِفْ عْطَشْهَا: يُضرب للإشارة إلى أنّ كلّ شيء، مهما كان ضئيلا، يُحتاج إليه لقضاء الشّأن الذي يناسبه. أمّا ظاهر معناه فهو يدعو إلى شدّة الحفاظ على الماء، حتّى أنه يعتمد القطرة كوحدة قيس له. وفي ذلك أقصى درجات التّثمين و"التّقديس".

16- الْمَا لِذِّتْ الْعَطْشَانْ: معناه أنّ العطشان لا لذّة لديه تساوي شرب الماء، فكل لذائذ الحياة لا تساوي شربة ماء لمن أصابه العطش، وفي ذلك حضّ على الحفاظ على الماء بطريقة غير مباشرة.

17- الْمَا أَمَانْ: يقال في سياق الحديث عن أهمية الماء، لأنّ بوجوده يأمن الإنسان على حياته ورزقه، كما يقال أيضا أثناء تفسير حضوره (أي الماء) في الحلم. وهذا ما يدلّ على أهميته، فوجوده يبعث على الأمان في اليقظة كما في الحلم.

18- أعْطِي الْمَا وَلَوْ كَانِكْ عَ الْمَا[70]: معناه أعطي الماء لمن قصدك وإن كنت على جوع ولا تملك غيره. إذا بهذا المعنى يكون الماء أثمن موجود على الإطلاق، وحتى الطّعام يأتي في مرتبة دونه، ولذلك يجب ألاّ يُحجب عن سائله في كل الظّروف. وهنا تبرز المكانة الرمزية والمادية للماء في مجتمع النّدرة.

19- اللِّيقَاذْ الْمَاقَاذْ الْمَالْ: معناه من جلب الماء كمن حاز ثروة. واعتبار الماء مصدر للثّروة -بكل ما تعنيه من راحة وبذخ وطيب حياة- يرفعه إلى أن يكون أوّل اهتمامات الإنسان ومحور انشغالاته ومبلغ رغائبه.

20- يَجْعِلْ اللّي بَلّْكُمْ يْرُشّْنَا[71]: معناه أنّ المخاطِب يدعو الله لكي يمنحه بعض من الخير الذي أنعم به على المخاطَب. فالماء يرمز إلى كل النّعم وكلّ النّعم تُختزل في الماء.

21- الْبِيرْ اللّي تُشْرُبْ مِنُّو ما تَرْمِيشْ فِيهْ الْحْجَرْ[72]: يُضرب في باب الدّعوة إلى عدم الاعتداء على مصدر نفع الإنسان. ومعناه المباشر يفيد الحضّ على المحافظة على مصدر الماء الذي نشربه.

7. خاتمة:

أمكننا هذا البحث من إحصاء 153 مأثور شفوي له اتّصال بموضوع الماء، توزّعت على عدّة محاور وأغراض. وهي في المحصّلة تعكس مكانة هذه المادّة في الذهنية والذّاكرة الجماعية لمجتمع السّباسب العليا التّونسية. ولئن احتوت مدوّنتنا على بعض المأثورات المتداولة لدى عامة المجتمع التّونسي أو في المجتمعات المغاربية والعربية، فإنّنا لا نعدم منها المأثورات المحلّية الصّرفة. وهي في عمومها تمثّل مادّة تربوية وتثقيفية هامّة يمكن الاستفادة منها في إعادة توعية المجتمع بقيمة الحفاظ على الماء، لاسيما وأنّه رغم التّحوّلات العميقة في نمط العيش وظروف المعيشية مازالت المنطقة مطبوعة بندرة الماء وهو ما يجعلها مفتوحة على نسق من التّوتّرات والصّراعات، بل لا نبالغ إن قلنا إنّ علامات كثيرة تدلّ على أنّ إرهاصات الأزمة بدأت تكشف عن ملامحها. هذا مع الإشارة إلى أنّ الماء يظلّ في مجتمعات النّدرة والوفرة على حدّ سواء، "يؤشّر على الثّابت والمتغيّر في مسار ملتهب من الصّراعات والتّنافسات"(العطري، 2018، صفحة 80). وهو ما يجعل حسن التّصرّف في الماء والمحافظة عليه يحتلان صدارة كل مشروع يرنو إلى تنمية المنطقة على قاعدة الاستدامة. "فالتنمية وقبل أن تكون تغييرا يرمي إلى تحسين الأداء، فهي تحصين للمكتسبات وحماية لها من الضّياع. وبذلك تصير المأثورات الشّعبية في خدمة البناء الايجابي للمجتمع ورساميله الرّمزية والمادّية"(العطري، 2018، صفحة 84). وبناء على ذلك، يكون من الضرورة بمكان الاهتمام بالمأثورات الشّفوية المرتبطة بالماء، من حيث توثيقها والتّوعية بأهميتها ولفت الأنظار إلى ما تختزنه من تجارب تاريخية وقيم ثقافية ومكانة معرفية وجمالية، وكذلك صلاحيتها في الحياة الحديثة، والتّشجيع على إعادة إنتاجها ضمن أطر إبداعية وأشكال تداولية جديدة تراعي الواقع المتغيّر، ممّا يضمن بقاءها،

---

[70]. يتمّ تداول هذا المثل في منطقة القصور (الجنوب الغربي الجزائري) على النّحو التالي :"أَرْفِدّ الْمَا، ولّو كانْ تحُطْ عْلَى المَا"(خليفي، 2003، صفحة 83)

[71]. ورد بصيغة "المَطَرْ اللّي صَبّتْ عليكُم تْرُشْنَا" في (العبادي، 2018، صفحة 800).

[72]. ورد في صيغة "البِيرْ إلّي تُشْرُبْ مِنُّو مَا تَرْمِيشْ فِيهْ الحَجَرْ وإلّي تحِبْ تَعَاشَرُو مَا تَطَيَّحْشْمَعَاهْ القَدَرْ" في: (بن رمضان، 2017، صفحة 266).

واستمرارها في إغناء ثقافة المجتمع ومساعدته في تخطّي ما يعترضه من تحدّيات.

8. قائمة المراجع:

– أبو بكر الخوارزمي. (1994). *الأمثال*. (تحقيق محمد حسين الأعرجي، المترجمون) الجزائر: موفم.

– أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي. (1975). *أمثلة العوام في الأندلس* (المجلد 1). (منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المحرر، و تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، المترجمون) فاس: مطبعة محمد الخامس.

– إسحاق بن إبراهيم الفرابي. (1974). *ديوان الأدب* (المجلد 1). القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.

– الهادي التيمومي. (1993). *انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر: مثال 1906*. تونس: بيت الحكمة–قرطاج.

– بيار بورديو. (2007). *الرمز والسلطة* (الإصدار 3). (عبد السلام بنعبد العالي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

– حمد غضباني. (2008–2009). الزوايا والأضرحة بجهة القصرين: دراسة اثنوأثرية. *رسالة ماجستير في علوم التراث (مرقونة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس 1* . تونس.

– حنّا الفاخوري. (1980). *الحكم والأمثال* (الإصدار 4). القاهرة: دار المعارف.

– خليفة الميساوي. (2009). المصطلح اللّساني وأثره في كتابة التاريخ الشعبي. *القصرين ذاكرة وتاريخ: أعمال الندوة العلمية المنتظمة بالقصرين من 5 إلى 8 أفريل 2007* ، 271–283. (أعدّ النصوص وقدّم لها محمد ضيف الله، جامع الكتاب) تونس: المغاربية للطباعة والإشهار.

– سمية أمزيان. (2018–2019). المستويات الجمالية للمثل الشعبي الجزائري، أمثال الجزائر والمغرب العربي لمحمد بن شنب نموذجا. *رسالة دكتوراه في الأدب الشعبي الجزائري، (مرقونة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران أحمد بن بلّة 1* . وهران.

– صبرينة يونسي. (2017). المعضلة المائية في الوطن العربي. *مجلة العلوم الاقتصادية ، 18*، الصفحات 164–180.

طاهر الجزائري. (2014). *أشهر الأمثال*. القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة.

– عاطف وصفي. (1971). *الانثروبولوجيا الثقافية، مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربون الأمريكية*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

– عبد الحميد بن هدوقة. (1993). *أمثال جزائرية*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

– عبد الحميد بورايو. (2011). *الأدب الشعبي الجزائري*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

– عبد الرحمان أيوب. (2007). *دليل مسير أنظمة الكنوز الانسانية الحية بالمغرب العربي*. (المعهد الموريتاني للبحث العلمي، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اليونسكو–مكتب الرباط، المحرر) نواكشوط.

– عبد الرحيم العطري. (شتمبر, 2018). من ثراء الثقافة المغربية: الحكاية الشعبية و"تقديس" الماء في مجتمعات النّدرة. *الثقافة المغربية* (38).

– عبد القادر خليفي. (جانفي–جوان, 2003). الماء وطقوسياته في منطقة القصور. *إنسانيات* (19–20)، الصفحات 81–87.

– عبد الله الهادي. (2022). إستراتيجيات الحدّ من اعتماد تربية الماشية على المكمّلات العلفية بالتّخوم الشمالية للسّباسب السّفلى. *كرّاسات المتدى* (6)، الصفحات 222–242.

– فوزية مداني. (1982). الخرافة التونسية: هيكلها ومدلولها الاجتماعي. *شهادة الكفاءة في البحث (مرقونة)، قسم اللغة وآدابها، العربية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تونس 1* ، 4. تونس.

– قاسم بلحاج عيسى. (1988). *الأمثال الشّعبية في تونس* (الإصدار 1). تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع.

– محمد الصادق الرّزقي. (2016). *الأمثال العامية التونسية وما جرى مجراها*. (تحقيق وتعليق محمد الطاهر الرزقي، المترجمون) تونس: دار سحر للنشر.

- محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرّازي. (1987). الأمثال والحكم. (منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، المحرر، و صحّحه وعلّق عليه فيروز حريجي، تقديم شاكر الفحّام، جامع الكتاب) دمشق.

- محمد رضوان العبادي. (2018). *مجمع الأمثال الشعبية التونسية* (الإصدار 1). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

- محي الدين خريف. (2003). *الأمثال الشعبية التونسية* (الإصدار 1). سوسة: دار المعارف للطباعة والنشر.

- ميشيل كوت. (2019). التراث الثقافي للماء- مقدمة للدراسة المواضيعية في ضوء اتفاقية التراث العالمي. *التراث الثقافي للماء: التراث الثقافي للماء في الشرق الأوسط والمغرب العربي: دراسة مواضيعية ، 2*. (ICOMOS- المجلس الدولي للأثار والمواقع، المحرر، فراس عبد الهادي، و منال حماض، المترجمون)

- نعيمة الفقيه، و منال البكري. (2021). *أزمة المياه بجهة القيروان والاتجاهات المستقبلية*. (المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، المحرر) تاريخ الاسترداد 16 جانفي, 2023، من المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية: http://ftdes.net/rapports/kairouan.eau.pdf

- ياسين بن رمضان. (2017). *الموسوعة الجلية للأمثال الشعبية التونسية* (الإصدار 2). تونس: دار سحر للنشر.

- Attia, H. (1977). Les hautes steppes tunsisiennes et de la société pastorales à la société paysanne. *Thèse de doctorat d'état ès lettres (dactylographiée), U.F.R. de géographie humaine, Université de Paris VII* . Paris.

- Bouhdiba, A. (1977). *L'imaginaire maghrébin: dix contes tunisiens pour enfants.* Tunis: M.T.E.

- Human Rights. (2022). *End of mission Statement by the Special Rapporteur on the human rights to safe drinking water and sanitation, Mr Pedro Arrojo-Agudo.* Consulté le janvier 16, 2023, sur https://www.ohchr.org/sites/default/files/documents/issues/water/visits/tunisia/2022-07-29/EndofVisitStatement-Tunisia_July2022_EN.pdf

- Kouadio, Y. (2016). Proverbes et modernité, deux réalités irréconciliables ? *Estudios Románicos , 25*, pp. 241-252.

Mehdouani, M. (2022). Des risques liés à l'eau dans les environs du barrage de Sidi Saad (Tunisie centrale). *Revue Marocaine de Géomorphologie* (6), pp. 1-32.

- Simon, S. (2021). *Réintroduire le patrimoine de l'eau parmi les communs.* Consulté le janvier 16, 2023, sur in Situ, au regard des sciences sociales: https://journals.openedition.org/insituarss/599#:~:text=39Le%20patrimoine%20de%20l,et%20dont%20leur%20survie%20d%C3%A9pend

9. ملحق: ثبت المصطلحات

- القَطْرَة: قطرات الماء التي تنزل من سقف المسكن أو الخيمة بسبب كثرة الأمطار وسوء المأوى، ممّا يتسبّب في عناءساكنيه.
- قِلْتَة: الحفرة في الأرض الصلبة التي ينحبس فيها الماء بعد هطول المطر أو جريان السيول.
- نُقِيعْ: الغدير الصغيرة التي تتجمّع فيها مياه الأمطار.
- جَابْيَة: حوض لتجميع مياه السّيول.

– وْنِي: حاجز ترابي ضئيل الحجم يُقام لردّ ماء الأمطار عن الدخول إلى الخيمة أو غيرها من المآوى المؤقّتة. ويُستعمل فعل وَنّى للإشارة إلى تهيئة الْوْنِي.

– قُلَّة:جرّة لنقل وحفظ الماء.

– شَلْبُوطْ:قربة صغيرة.

– قِرْبَة: جلد ماعز معدّ لنقل الماء.

– تْبَرّعْ: انسكب، أُريق.

– الوْطَى: الأرض.

– شَاحْ: جفّ

– عَارِضْ: مطر قوي ينزل لمدّة وجيزة، ويكون ناتج عن كتلة سحاب عريضة.

– دَهْسَة: لها معنيين هما: الظلام، والأرض الطينية المبلّلة التي تُغرق من يدخلها.

– الْفْسَا: الفساء.

– القَنْطَاسْ: هو مركز سقف الخيمة، عمود مقوّس جزئيا، طوله حوالي 65 صم، محفور في طرفيه، يوضع بطريقة أفقية، وفي كلا الحفرتين يرتكز عمود لكي يرفعا الخيمة.

– الطْحِين: الدّياثة.

– الْعْزُوزْ: المرأة المسنّة.

– رْبَيّعِي: اسم تصغير لرْبُوعِي، وهو مكيال لكيل الحبوب.

– عْنَادْ: المرتفع من الأرض.

– شُولْ: بمعنى ما يقارب النّصف، ويقال بالنسبة لكيل السّوائل.

– عَمْرَة: تُطلق في الوقت الحاضر على إحدى عمادات معتمدية القصر من ولاية قفصة، أمّا في السّابق فيُقصد بها البادية الواقعة شمالي مدينة قفصة، وتشمل ما يُعرف الآن بقفصة الشمالية وأجزاء من السند شرقا وسيدي بوبكر غربا وتمتدّ شمالا لتستوعب بعض نواحي سيدي عيش.

– هْبِيلْ: أهبل.

– عِشَّة: خيمة صغيرة حجم.

– هَابْيَة: رثّة.

– دْرِيبِيلَة: إسم تصغير لدِرْبَالَة، وهي الرّداء أو البرنس الرّثّ.

– تْنَدَّى: ابتلّ بالنّدى.

– خَايِبْ: سّيء.

– خَرْشِي: ناكر الجميل والمعروف.

– منفوخ: يقال فلان منفوخ، بمعنى مرائي ومتعالي.

– عْيِرّة: جمع عير، وهو فحل الأبل الذي يكون عمره حوالي 3 سنوات.

– الجْلِيدة: الجليد.

– الصّْقِيعْ: الصّقيع، والصّْقْعْ معناه شدّة البرد.

– قِرّة: أيّام القرّ، حيث يكون الطّقس بارد جدّا وغالبا ما يتزامن مع نزول المطر.

– قِرّتْ الْحْسُومْ تكون في فصل الربيع، تدوم 7 أيام (8 ليالي و7 نهارات)، وتمتد من 10 إلى 17 مارس،ويشهد خلالها الطقّس تقلّبا كبيرا فتنخفض درجات الحرارة وتهبّ رياح باردة، كما ينزل فيها المطرفي بعض الأحيان.

– اللّيالي البيض: يبدأ بها التقويم الفلاحي، وتمتدّ على 20 ليلة، وتبدأ من أواخر شهر ديسمبر إلى منتصف شهر جانفي. ويكون فيها الطقس معتدل في النهار وشديد البرودة في الليل.

– اللّيالي السُّود: تمتد على 20 ليلة، وتبدأ من منتصف شهر جانفي، ويشهد خلالها الطقس انخفاضا في درجات الحرارة وظهور السّحب والغيوم.

– ثَجّيتْ: ضجرتُ.

– الثّرى: الأرض الرّطبة، ويقال "أرض ثَارْيَة"، أي بعد نزول المطر وتبخّر المياه الرّاكدة على السّطح تحتفظ الأرض بنسبة من الرّطوبة تجعلها مناسبة للحرث ونموّ البذور.

– نَوْ: مطر.

– الْيْدَامْ: الزيت أو غيره من المواد الدّهنية كالشّحم والزبدة بعد ذوبانهما، ويطلق كذلك على اسم الملح تطيّرا من ذكره في الصّباح.

– الشّرّ: يختلف معناه حسب سياق استعماله، وفي بعض الحالات يفيد معنى الجوع.